وثلاثين ألف دينار. وقد كان كل واحد من المعتضد والمكتفي يستفضل في كلّ سنةٍ من سني خلافته من أموال النواحي بعد الذي يُصرف في أعطيات الرجال والغلمان والخدم والحشم وجميع النفقات الحادثة معما كان يحصّلهُ في بيت مال الخاصة : ألف ألف دينار .

وكان سبيل المقتدر ان استفضل مثلها فيكون مبلغهُ في خمسة وعشرين سنة: خمسة وعشرين ألف ألف دينار. فيكون جملة ما يجب أن يحضر في بيت مال الخاصة للمقتدر بالله في هذه السنين الى آخر سنة عشرين [٣٨٥] تسعة وثمانين ألف ألف دينار وثمانمائة ألف وثلاثين ألف دينار. خرج من ذلك ما ليس يجرى مجرى التبذير وهو ما أطلق في البيعة ثلاث دفعات وما أنفق على فتح فارس وكرمان : بضعة عشر ألف ألف دينار. وبقي بعد ذلك ما بُذر وأتلف نيّف وسبعون ألف ألف دينار

وكانت مدة وزارة أبي الفتح الفضل بن جعفر للمقتدر خمسة أشهر وتسعة وعشرين يوماً

خلافة القاهر بالله ابي منصور

﴿ محمد بن المعتضد سنة عشرين وثلثمائة ﴾

لما قُتل المقتدر بالله وحمل رأسه الى بين يدى مونس بكى وقال : قتلتموه والله لنقتلنّ كلنا فأقلُّ مايكون أن تظهروا بأن ذلك جرى بغير قصدٍ منكم ولا أمر به وأن تنصبوا في الخلافة ابنهُ أبا العباس فانه تربيتي واذا جلس في الخلافة سمحت نفس جدّته والدة المقتدر واخوته وغلمان

أبيه باخراج المال . فعارض هذا الرأى أبو يعقوب اسحق بن اسمعيل النوبختى لحسنه وما سبق له فى حكم الله تعالى وقال : بعد الكد استرحنا من له والدة وخالة وخدم فنعود الى تلك الحالة ! وما زال بمونس (٣٨٦) وأسبابه حتى فتأ رأيهم عن أبى العباس وعدل به الى محمد بن المعتضد بالله ليتم المقدار من جرى قتله على يده . وحضر فائق وجه القصعة الحرمي فذكر لمونس ان والدة المقتدر لما بلغها قتل ابنها أرادت الهرب وأنه وكل بها وتوثق منها وذكر ان محمد بن المعتضد ومحمد بن المكتفى معتقلان فى يده فوجه به مونس وأمره باحضارهما وأصعد بهما الى دار مونس بعد ان أطلق بشرى خادمه .

وابتدأ مونس بخطاب محمد بن المكتفى فامتنع من قبول الامر وقال : عمى أحق به . فخاطب حينئذ محمد بن المعتضد فاستجاب واستحلف لمونس المظفر وليلبق ولعلى ابنه وليحيى بن عبد الله الطبرى كاتب يلبق . فلما توثقوا منه بالايمان والعهود بايعوه وبايعه من حضر من القضاة والقواد ولقب القاهر بالله وكان ذلك سحر يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال . وأشار مونس بأن يستوزر له علىّ بن عيسى ووصف سلامته واستقامة أموره ومذهبه ودينه فقال يلبق وابنه : الحال الحاضرة لا تحمل أخلاق على بن عيسى وانه يحتاج الى من هو أسمح منه وأوسع أخلاقاً . فأشار بأبى على ابن (٣٨٧) مقلة وبأن يستخلف له الى أن يقدم من فارس أبو القاسم الكلوذانى فأمضى مونس ذلك وكتب الى أبى على ابن مقلة بالاسراع والى يافوت بحمله وتعجيله

وانحدر القاهر الى دار الخلافة وصعد الدرجة وانحدر مونس وأسبابه الى دورهم وصرف محمد بن المكتفى الى داره فى دار ابن طاهر واستحجب القاهر بالله على بن يلبق واستكتب على بن يلبق أبا على الحسن بن هرون .

ووجّه مونس المظفّر فاستقدم على بن عيسى من الصافية فراسله القاهر على يد الحسن بن هرون واستدعاه فلقى مونسا ثم انحدر الى القاهر فوصل اليه وخاطبه بجميل وذلك قبل ورود ابن مقلة . واستحضر مونس أبا القاسم الكلوذانى وانحدر معه الى دار السلطان وأوصله الى القاهر فعرّفه انه قد استوزر أبا على ابن مقلة واستخلفه له الى أن يقدم وأمره أن ينتقل الى دار مفلح ليقرُب عليه اذا طلبه ففعل ولقيه أصحاب الدواوين وهنؤوه وأمروهى.

وتشاغل القاهر بالبحث عمن استتر من أولاد المقتدر وحُرمه وبمناظرة والدته وكانت فى علة عظيمة من فساد مزاج وابتداء [٣٨٨] استسقاء ولما وقفت على ما لحق ابنها من القتل وانه لم يدفن جزعت جزعاً شديداً ولطمت رأسها ووجهها وامتنعت من المطعم والمشرب حتى كادت تتلف ورفق بها رفقا كثيرا الى أن اغتدت بيسير من الخبز والملح وشربت الماء .ثم دعاها القاهر فقررها بالرفق مرة وبالتهديد مرة فحلفت له على انه لامال لها ولا جوهر الا صناديق فيها صياغات وثياب وفرش وطيب وان هذه الصناديق في دار تتصل بالدار التى كانت تسكنها من دار السلطان ووقفته على تلك الدار وتلك الصناديق وقالت : لوكانت [١] عندى مال لما سامتُ ولدى للقتل . فضربها حينئذ بيده وعلقها [٢] بفرد رجل وأسرف فى ضربها على المواضع الغامضة من بدنها ولم يرع لها احسانها وقتَ اعتقال المقتدر اياه ولما أوقع بها المكروه لم يجد زيادة على ما اعترفت به طوعا . فلما كان مستهل ذي القعدة حضر يلبق وعلى ابنهُ ومعهما أبو القاسم الكلوذانى دار السلطان فأوصلهم الى حضرته فطالبوهُ بحمل مال الى مونس المظفّر ليُنفق فى صلة البيعة

(١) كذا بالاصل ولعله حكاية كلامها (٢) فى التكملة : بحبل البرادة

فحدثهم بما فعله بوالدة المقتدر [٣٨٩] وانه ضربها بيده مائة مقرعة ضرب التقرير على المواضع الغامضة من بدنها فما أقرت بدرهم واحد غير ما كانت أقرّت به عفوا وقال لهم : هي بين أيديكم . ثم أدخلهم الى الدار التي فيها الصناديق فاذا فيها ثياب وشي وديباج روي وتُستريّ مثقّلة بالذهب وفرش ادمى وخزّ رقم وديباج وصناديق فيها ثياب فاخرة وصياغات يسيرة ذهب وصياغات كثيرة فضة وطيب كثير من عودٍ هنديّ وعنبر ومسك وكافور وتماثيل كافور قيمة ذلك نحو مائة وثلاثين الف دينار وقيمة التماثيل نحو ثلثمائة الف درهم فتسلم أكثر ذلك مونس المظفّر ليباع فتركوا بعضه ليخدم به القاهر .

وصودر جميع أسباب المقتدر وظهر الفضل بن جعفر فعنى به مونس ويلبق وابنه وخاطبوا فيه القاهر فقال : هذا كان وزير المقتدر ولا بد من مصادرته . فبذل عشرين ألف دينار عاجلة فقال مونس : أنا أزن هذا المال عنه فانه ثقة عفيف كاتب دين . ورسم أن يقلد ديوان الضياع المقبوضة عن والدة المقتدر وديوان أولاد المقتدر وما قبض عنهم وعن سائر الاسباب وأكرم كل اكرام وصار الى [٣٩٠] الكلوذاني فقام له لما حضر ولما انصرف ووقّع له القاهر بجميع تلك الدواوين التي ذكرتها فتسلم الدواوين ولم يؤثر فيها شيئاً لانه لم يستحسن وكان بالامس وزير المقتدر أن يقلد اليوم ديوان المقبوضات عن والدته وأولاده وأسبابه فاستحضر الكلوذاني هشاما وقلده ذلك أزمةً وقلد أبا محمد المادرائي ديوان الاصول فكانت مدة ولاية الفضل هذه الدواوين سبعة عشر يوما

وكانت مصادرة أبي بكر ابن ياقوت قد اشتهرت وانه لم يؤدّ منها الا تسعين ألف دينار فطولب بتمامها . وأخرج القاهر والدة المقتدر لتشهد على

نفسها القضاة والعدول بأنها قد حلت وقوفها ووكلت فى بيعها على بن العباس النوبختى[1] ونوظرت على ذلك فامتنعت منه وذكرت انها وقفته على مكة والثغور على الضعفاء والمساكين ولا أستحل حلها «فأما أملاكى الطلق فقد وكلت على بن العباس فى بيعها» فنهض القاضى عمر بن محمد والشهود الى حضرة القاهر فاشهدهم على نفسه بأنه قد حل وقوفها ووكل فى بيعها على بن العباس النوبختى وفى بيع سوى ذلك من الضياع الخاصة والفراتية والعباسية[٣٩١] والمستحدثة والمرتجعة وما يجرى مجراها فى سائر النواحى ووكل أبا طالب النوبختى واسحاق بن اسماعيل وأبا الفرج جلخت فى بيع المستغلات بالحضرة المقبوضة وما أمكنهم بيعه من فضل مابين المعاملتين. ورأى أسباب مونس انه لايتم البيع الا بأن يبتدئوا بالشراء منهم فابتاعوا أشياء بنحو خمسمائة ألف دينار

وقدم أبو على ابن مقلة من شيراز فى يوم النحر وكان كتب الى القاهر بالله ويسأله أن يجلس له في الليل لانه كان اختار لنفسه أن يلقاه بطالع الجدى وفيه احد السعدين والآخر فى وسط السماء فوصل فى الوقت الذى قدره وصادف القاهر ينتظره فلقيه وخرج من عنده وقد أعدت له دار هرون بن المقتدر وفرشت فدخلها ووقع فيها بتقليد قوم وخلع عليه من الغد خلع الوزارة وصار الى دار مونس المظفر فسلم عليه وانصرف الى داره. وحضر الناس للتهنئة وراح اليه فى آخر النهار على بن عيسى فلم يقم له واستقبح الناس له

(١) مات في سنة ٣٢٤ وقد قارب ثمانين سنة وكان حسن الادب والشعر وكان ابنه الحسين يكتب لابن رائق ويدبر أمره: كذا فى الاوزاق لابي بكر الصولى وترجمته موجودة في ارشاد الاريب ٥ : ٢٢٩

ذلك وصار اليه أبو بكر ابن قرابة ووفى بوعده فى مداخلته اياه والعود الى التخليط كما كنا شرحناه من أمره [١]

ودخلت سنة احدى وعشرين وثلثمائة [٣٩٢]

كان أبو على ابن مقلة عاتياً على الكلوذانى وذلك انه لم يعرف خبر احد من اخوته وولده وحرمه وأسبابه بعد تقليده خلافته ولا صار الى داره ولا قلد أحدا من أسبابه شيئاً من الاعمال ولا تفقد حرمه وولده بشيء واعظم من هذا كله ان أبا عبد الله ابن نوابة استأذن أبا القاسم الكلوذانى فى وقت خلافته أبا على فى ذكر كنيته على الكتب النافذة الى العمال فلم يأذن له . فقبض على الكلوذانى وأسبابه وكان هذا أول ما وبخه به وأخذ خطه بمائتى ألف دينار ونقله مع كاتبه وأسبابه الى أبى بكر ابن قرابة ثم قبض على جماعة من العمال وكتاب الدواوين وقبض على اسحاق بن اسماعيل النوبختي وعلى بنى البريدى وضمن أعمالهم من محمد بن خلف النيرماني بما كانت عليهم وزيادة ثلاثمائة ألف دينار وضمن أيضاً أن يصادرهم على ستمائة ألف دينار وتسلمهم وحملهم الى داره وجميع ذلك بتوسط ابن قرابة فاعتقلهم محمد بن خلف فى داره وفرق بينهم . وجمع أبو على ابن مقلة لمحمد بن خلف مع هذه الاعمال أعمال المعاون فخاف اسحاق بن اسماعيل وبنو البريدى على أنفسهم لما يعرفونه من شدة اقدام محمد بن خلف وقهوره فأما أبو عبد الله البريدي [٣٩٣] فانه داري محمد بن خلف ورفق به وأوهمه انه يعمل من قبله ويقوم بمال النواحى

---

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وظهر شفيع المقتدرى بأمان وقرر عليه خمسون ألف دينار وكان مملوكا لمونس فحلف أن لابد من بيعه فتودي عليه فبلغ ثمنه سبعين (ألف) دينار فابتاعه الكلوذاني باسم القاهر وشهد الشهود في العهد

وبالزيادة التي بذلها وأن يطيعه فى المال كله ويعمل بما يأمره فيه ولا يخالفه فرقه من بين الجماعة وأوقع بأخويه وعلق عليهما الجرار المملوءة ودهقهما فلم يذعنا بشيء وضيق على اسحاق بن اسماعيل ولم يوقع به مكروها

وكانت بين أبي جعفر ابن شيرزاد وبين اسحاق بن اسماعيل مودة وكيدة فخاطب أبو جعفر الوزير أبا على فى لقاء اسحاق وقال : احتاج أن أواقفه على ما سبب لصاحبي هرون بن غريب عليه فى أيام المقتدر وما أطلقه حتي لايحيل علىّ بما لم يطلقه . فوجه معه بحاجب من حجاب الوزارة فأوصله الى اسحاق فلما وقعت عين اسحاق عليه قال له : ياسيدى الله الله فى أمرى بادر الى الاستاذ المظفر ولا تفارقه حتى يخلصنى من يد هذا المجنون . فمضى أبو جعفر الى مونس ولم يزل يسئله حتى دعا بلبق وأمره أن يمضى الى أبى على ابن مقلة ويخاطبه فى أمره فان أطلقه والا انتزعه من يد محمد بن خلف وحمله اليه . فمضى بلبق الى ابن مقلة فخاطبه فلم يجد ابن مقلة بدا من الاستجابة لتقريب أمر اسحق

فحكى أبو الفرج ابن أبى هشام عن أبى سعيد ابن قديدة أن السبب فيما لحقهم عتب أبى بكر ابن قرابة [٣٩٤] عليهم لتأخيرهم مالا كان له عليهم وهو الذى قدمه عنهم فتقاعدوا عن الوفاء له فعاهد محمد بن خلف يوم تضمنهم من أبي على ابن مقلة بستمائة الف دينار على أن يستوفى له من جماعتهم ماقدمه عنهم ويردّه عليه فلما حصلوا فى يد محمد بن خلف استخرج من أبى عبد الله وأخويه عشرين الف دينار وأنفذ قبض بعض الصيارف بدرب عون الى أبى بكر ابن قرابة بها وجعل ذلك من دينه عليهم وجدّ بهم . واستسلم له أبو يوسف وأبو الحسين ولحقهما منه مكاره عظيمة وأطمعهُ أبو عبد الله اطماعاً

لم يصح ورفق به. فلما كان فى اليوم الثالث ركب محمد بن خلف الى أبى على ابن مقلة فقال له أبو على : يا أبا عبدالله غررتنا والقوم فى يدك فنفذت مخاريقهم عليك وذهبت بربحك . فخجل محمد واغتاظ وقال : قد حملتُ من جهتهم عشرين الف دينار وانما ضمنتُ المال فى مدة ثلاثة أشهر فأىّ عتب للوزير علىّ حتى يخاطبنى بهذا الخطاب البشع ! فقال الوزير : ماسمعتُ بهذا الا منك فالى من سلمتَ المال ؟ قال : الى ابن قرابة . فدعا بابن قرابة وهنأ له عما ذكر محمد بن خلف فقال : انفذ أيها الوزير هذا الخط ووالله ما قبضت (٣٩٥) ما له من الصيرفى وزعم انه من دين لى عليهم ولو قال انه من الحمل لأنهيتُ حاله فى الوقت واذ قد بدا له فها هى الرقعة بارك الله له فيها . وسلمها الى محمد بن خلف فقال محمد : لا والله ما جعلتها من دينك وكيف يجوز أن أقدّم مالك على مال السلطان ؟ فاستوحش كل واحد منهما من صاحبه وبلغ أبا عبد الله البريدى خبر المجلس فسرّى عنه واجتهد فى أن يكتب رقعة الى ابن قرابة يسئله فيها المصير اليه فلم يجد دواة ولا من يحملها واتفق ان أنفذ أبو سعيد ابن قديدة غلامه أحمد ليشاهد حاله فاستأمن اليه أبو عبد الله ورغّبه فى الاصطناع والاحسان ووعده أن يغنيه اذا أوصل رُقعة له الى ابن قرابة فاستجاب له الغلام واحتال له فى جوفة جعل فيها كرسفا وأحضره قلما صغيرا وقطعة من كاغد فكاتب أبا بكر ابن قرابة وحلف له انه ان أخذه اليه وفّاه ماله عن آخره وخدمه أحسن خدمة . فبكر أبو بكر ابن قرابة الى محمد بن خلف وأظهر له انه قد قصده لمعاتبته حتى استوفى المفاوضة معه ثم قال له : أخرج ابن البريدى الىّ فانه يستقيم الى كلامى حتى أقرر مصادرته وأعرف ما عنده (٣٩٦) فى دينى . فاخرجَ اليه أبا عبد الله فقال أبو عبد الله :

أول اقبالى ان قلت لمحمد بن خلف « لم يبق من السحر الا السرار فيتفضل الامير ويخلى لنا مجلسنا » فنهض محمد بن خلف من مجلسه وسلمه الى برفاعته وقال : أنا داخل الى دار الحرم . فتخاطبنا وجلست مجلسه وقعدت مقعده فتفاءلتُ وقلتُ « هذا مجلس كان لى فانتقل اليه وقد عاد الىّ » فاستصلحتُ أبا بكر ابن قرابة ووعدنى بتخليصى ووفى ومضى فقصل أمرنا وضمن الوفاء عنا. فلما كان فى اليوم الثانى رضى عنا أبو على ابن مقلة واستدعانى واخوتى فدعانا محمد بن خلف وسكّن بنا وأنفذنا اليه فلما أردتُ الخروج قلتُ لمحمد ابن خلف : أيها الامير أبو يعقوب اسحق بن اسمعيل خادمك ومونس يعتنى به وسينفذ الساعة من يأخذه فدعنى حتى أستصلحه لك وأعقد بينك وبينه عهدا وميثاقاً . فقال : افعل . فخلوت باسحق بن اسمعيل وقلتُ له : قد سخرتُ من هذا النفس وأنا منصرف فعاقِدهُ واحلف له ثم قل له « بيننا الآن عهد ولا بد من صدقك ابنُ مقلة يبغضك ويتهمك بأنك تطلب الوزارة وانما أراد أن يستنفر لك الاعداء ويأخذ أموالنا بيدك ثم يحملنا على أن نتضمنك وقد ضمنك أبو عبد الله البريدى (٣٩٧) بثلثمائة الف دينار وحدثنى بهذا فلا تركب أياماً فان كان الوزير سأل عنك فقد حماك منه الخليفة وان طلبك فانما يريد أن يسلمك اليه » ثم انعطفتُ الى محمد بن خلف وقلتُ : قد فرغتُ من القصة والرجل يخدم الاميرَ كما يريد . وخرجنا فأعاد عليه اسحق ما سمعه منى فانصرف قبل العصر بعدى

فلما جلس محمد بن خلف فى منزله ولم يركب الى أبى على ابن مقلة مضى أبو عبد الله البريدى الى ابن مقلة وقال له : قد عرفتُ من دار محمد انه يطلب

الوزارة وأن رسله منبثون الى أسباب مونس والى القاهر فلا تدعه يقيم فى البلد . وكان ابن مقلة جباناً فطلبه وكان ذلك القول الاول قد تقدم الى محمد ابن خلف فوثب بخدم ابن مقلة وغلمانه وحاجبه وضربهم وحصّلهم فى بيت وقفل الباب عليهم وتسوّر السطوح وهرب فلم يظهر الا فى وزارة أبى جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله للقاهر بالله . وكان أبو عبد الله البريدى مقيما بالاهواز وعرف محمد بن خلف من بعد ان الحيلة تمت عليه فقال لمن بلّغ أبا عبد الله البريدى : ظننت بك ظنا جميلا ولم أعلم انك فى الحيلة علىّ وكنت قد صدقت عنك فلم أقبل . (٣٩٨) فقال أبو عبد الله البريدي لابى على الكاتب : اكتب الى فائق الغلام أن يقول لمحمد بن خلف : هذه الحيلة يجوز أن تخفى عليك فقد خفى مثلها علىّ من هو اكبر منك ولكن أعظم من ذلك انه كان لنا من الموضع الذى حبسنا فيه طرق الى دور حرمك وذهبت عليك ولم تعرفها فاحترس منها في المستأنف .

وتوسط أبو بكر ابن قرابة أمور الجماعة وفصلها مع ابن مقلة فوقع ابن مقلة باعادة ابنى البريديين الى أعمالهم فاستقامت أمورهم . ولما بطل ضمان محمد بن خلف ما كان ضمنه من ضمانات البريديين واسحق بن اسمعيل صُرف أيضاً عن أعمال المعاون فى هذه النواحى وطلبه ابن مقلة (وكان من وثوبه برسله وحاجبه واستتاره ماذكرناه) ووجه ابن مقلة الى دار محمد بن خلف ثم فتح الباب عن خدمه وغلمانه وحاجبه وانصرفوا .

وكان أبو على ابن مقلة يعادى أبا الخطاب ابن أبى العباس ابن الفرات ولم يكن يجد الى القبض عليه طريقاً ديوانيا لانه كان ترك التصرف عشرين سنة ولزم منزله وقنع بدخل ضيعته وكان سبب عداوة أبى على له انه كان

استسعفه أيام نكبته فاعتذر بالاضاقة ولم يسعفه. [٣٩٩] ثم ان أبا الخطاب طهر أولاده فتجمل كما يتجمل مثله ودعا أولاد أبي علي بن مقلة فشاهدوا مروءة تامة وآلات جليلة وصياغات كثيرة وكان بعضها عارية فانصرفوا وحدثوا أباهم الحديث وعظموا وكبروا وصار أبو الخطاب ابن أبي العباس ابن الفرات الى الوزير أبي علي ابن مقلة على رسمه يوم الموكب للسلام عليه فقبض عليه. فحكى أبو الفرج ابن أبي هشام ان أبا زكريا يحيى بن أبي سعيد السوسي حدثه انه كان حاضرا حين قبض على أبي الخطاب وان الوزير أبا علي أنفذ اليه وسائط وانه كان فيهم وطالب بثلثمائة الف دينار وان أبا الخطاب قال: بماذا يتعلق الوزير علي وقد تركت التصرف منذ عشرين سنة ولما تصرفت كنت عفيفاً سليما ما آذيت أحدا ولى على الوزير حقوق وليس يحسن به أن يتناساها مع اشتهاره بالكرم ويقبح بي أن أهجنه بخطوط له عندى قبل هذه الحال الغالية فقولوا له «أيها الوزير أبو علي ذكرتك بما لو طالبتك برعايتها أو بالمجازاة على ما أسلفتك في أوقات انحراف الزمان عنك أو سألتك ولاية أو اماحة او احساناً في معاملة في ضيعة أو ارفاد [٤٠٠] وهل من الجميل الا اجد عندك اذا رفهتك من هذا كله سلامة في نفسي فيما قد ركبته مني مما اذا صدقت نفسك خفت العقوبة من الله عز وجل ثم قبح الاحدوثة من الناس اما ما ظننته عندى فما الامر كما وقع لك لان هذا المال ان كان موروثاً عن ابي رحمه الله فلست وارثه وحدى ولو كان لاقتسمناه ونحن عدة فلم يكن بد من ان يشيع ويعرف خبره وان ظننته من كسبي فتصرفي وما وصل الى منه معروف وما خفيت عنك نزارته ومن بحضرتك من اصحاب الدواوين يشهدون لي بأني ما حظيت ببعض مروءتي وان ظننته

من استغلال فما استغله مقسوم بين الورثة وان رجعت اليهم بالمسئلة لم تجد ما يخصني في زمان تصرفي الا بعض ما اتصرف الى مؤنتي ومروءتي . وقد خلف الوزراء والاكابر أولادا مثلي في كفايتي ودوني فتعرضوا لمواقف واستشرفوا لرتب وراسلوا وروسلوا فهل رأيتني الا في طريق التسلم وراضيا بامتداد ستر الله تعالى والزهد في هذه الدنيا ؟ فأي شيء تقول لله تبارك اسمه ثم لعباده اذا أسأت الى ؟ فلما أعيد هذا الكلام على ابن مقلة من غير جهتنا (فانه كان [٤٠١] انفذ من يتسمع) خجل وتبلد وتحير ثم قال : هذا يدلُّ علي بالفراتيّة وأمير المؤمنين ليس يمكنني من رعاية حقوق أمثاله وأنا أنفذهُ الى الخصيبي فانه أعرف بدوائه . فقمنا وجئتُ الى الخصيبي فحدّثته بما جرى في المجلس وقلتُ له : أعيذك بالله أن تنتصب للتشرُّر على الناس وأن يقال ان النعم تزال بك وأنت وزير ابن وزير وقد رفع الله قدرك من ذلك وأجلك بصناعتك وعفافك وأبوّتك . فقال : أحسن الله جزاءك ستعلم اني أرده اليه بعد ان أعزر باليسير اليه .

ثم ان أبا علي ابن مقلة استدعى الخصيبي وسلمه اليه بعد ان اضطرّه الى كتب خطه بثلثمائة الف دينار يصححها في مدة عشرين يوماً فاحضر له الخصيبي صاحب الشرطة وجرّدهُ وضربهُ عشر دررٍ وخُلع تخليعاً يسيراً ثم ضربهُ بالمقارع فأقام على انه لا مال له وان ضياعه قد وقفها ولا يمكنه بيعها فاستعفى الخصيبي منه وردّه الى دار ابن مقلة فحبسه . ثم سلمه الى المعروف بابن الجعفري النقيب واحضر له غلاماً من غلمان القاهر وذكر له انه قد أمر بضرب عنقه ان لم يودّ صدراً من المال فما زال يعللهم الى آخر الوقت ولم يودّ [٤٠٢] شيئا . فلما حضر الوقت احضره السيف وشدّ رأسه وعينيه

فقال له أبو الخطاب : وجهني رحمك الله الى القبلة . فوجهه ثم قال له : برفق . وتشاهدَ فبادر بالخبر ابن الجعفري الى ابن مقلة فقال ابن مقلة : لا يجوز ان يكون بعد هذا شيء. وقال مونس المظفر لابن مقلة : أيّ طريق على رجل لم يعمل عملاً منذ آخر سنة ٢٩٩ ؟ فأخذه ابن مقلة وسلمه الى حاجبه وأمره ان يعتقله فأقام فيه يومين وحضر أبو يوسف البريدي فشكا اليه ابن مقلة ما أقام عليه أبو الخطاب من التجلد ووسّطه بينه وبينه فصار اليه أبو يوسف وقرّر أمرَهُ على عشرة آلاف دينار فحلف أبو الخطاب الا يؤدّي منها درهماً ولو قتل أو يطلق الى منزله فوجه اليه ابن مقلة بخلعة من ثيابه وحملهُ على دابة بمركب واستدعاهُ ووثب اليه حتى كاد ان يقوم له ثم قال له : كثّر على الخليفة في أمرك وعزّ عليّ ما لحقك فامض مصاحباً الى منزلك. فانصرف وادّى المال في مدّة عشرة أيام وأطلق ضياعهُ وأملاكهُ (١)

وأحضر ابن مقلة اسحق بن اسمعيل وأخذ خطهُ بأن يحمل (٤٠٣) في كلّ شهر من شهور الاهلة مثل ما كان يحمله الى المقتدر بالله لخريطته على سبيل المرفق وهو الفا دينار وأخذ خطّ أبي عبد الله البريدي بحمل ثلاثة آلاف دينار في كلّ شهر على هذه السبيل وخط أبي يوسف وأبي الحسين أخويه بألف وخمسمائة دينار في كلّ شهر

﴿ذكر ما جرى في أمر الذين هربوا من قوّاد المقتدر وما آل أمرهم اليه﴾

كتب هرون بن غريب الى أبي جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد من واسط بأن يقطع أمره على مصادرة ثلثمائة الف دينار على ان يطلق له ضياعه

(١) وفي تاريخ الاسلام انه في سنة ٣٣٨ توفي العباس بن أحمد بن محمد بن الفرات أبو الخطاب والد المحدث أبي الحسن وكان صدراً نبيلا أريد على الوزارة فامتنع تديناً .

الملكُ في سائر النواحي ومستغلاّته دون الاجارات والوقوف التي كانت في يده وعلى ان يودّي حقوق بيت المال على الرسوم القديمة ويرتجع اقطاعاته وعُني به مونس المظفر وأسبابه وكتب له القاهر أماناً وقبلت مصادرته التي بذلها وقلد أعمال المعاون بماه الكوفة وما سبذان ومهرجا نقذق .

وخرج عبد الواحد بن المقتدر ومحمد بن ياقوت الباهلي وابنا رائق وسرور ومفلح من واسط مفارقين [٤٠٤] لهرون بن غريب من واسط الى السوس وجنديسابور فأفسدوا أمر الأعمال هناك وعاثوا وخرّبوا ومدّوا أيديهم الى التنّاء والتجار ثم خرجوا على الظهر الى سوق الاهواز فلما طال مقامهم بالاهواز شخص يلبق والجيش معه نحوهم فلقيه هرون بن غريب بجرجرايا ثم نفذ لحرب القوم

فأما ما حكاهُ أبو الفرج ابن أبي هشام عن مشاهدةٍ وعيان فانه قال : ان الهاربين من قوّاد المقتدر مع عبد الواحد انه دخلوا سوق الاهواز من طريق الطيب وما دخلوا السوس ولا جنديسابور واستبدّ محمد بن ياقوت بالامور على ابني رائق والجماعة . وقلد أبا اسحق القراريطي كاتبه النظر فاستخرجَ وأمر ونهى وكانت الاموال تنصبّ الى ابن ياقوت ويعطى منها ابنا رائق وغيرهما ما يريد فتغيرت له القلوب واعتقدوا الخلاف عليه

وتحقق أبو عبد الله البريدي بأبي علي ابن مقلة وكانت الكتب ترد عليه من الاهواز بجميع ما يجرى فأشار بأن يتلاحق أمرهم وقال : ان القوم متخاذلون وابن ياقوت مستبدٌّ عليهم وقلوبهم شتى وان ابني رائق صديقاهُ فان أخرج اليهم جيشٌ اختلفت كلمتهم [٤٠٥] وان تركوا قويت شوكتهم بأموال الاهواز وعقدوا لعبد الواحد الخلافة وطلبوا الحضرة . فأنفذ أبو علي ابن

مقلة أبا عبد الله البريدى الى مونس حتى شافههُ بذلك كله فقال مونس : قد ترى الحيرة فى مال البيعة وقد استحق الناس رزقة لان الحادثة بالمقتدر منذ ثلاثة أشهر فمن أين المال ؟ فقال أبو عبد الله البريدى : أنا أضمنه ويسبب علىّ وأقدّم بالحضرة ثلاثين ألف دينار وأصحح بالسوس خمسين الف دينار وبتستر عشرين ألف دينار والباقى بالاهواز . وأحضر صاحب ديوان الجيش وعمل جريدة لمن تجرّد مع يلبق واجمل مالهم فبلغ مائتى وخمسين الف دينار فحمل أبو عبدالله الثلاثين الالف الدينار التى ضمن تعجيلها بالحضرة وخوطب القوّاد وتكاثرت العساكر مع يلبق وأبو عبدالله البريدى معه. وخرج بدر الخرشنى فى الماء وكوتب أحمد بن نصر القشورى وكان يتقلد البصرة ان يسير معه فلما تحصلت الجيوش بواسط تغيرت القلوب على محمد بن ياقوت وتبين ذلك فقال للجماعة : أنا واحدٌ منكم ولستُ أخالفكم فى رأى ولكن الوجه أن نجتمع بتستر [٤٠٦] فانها حصينة منيعة وندبر أمرنا بما يوفق الله عزّ وجلّ له ولا نحارب . ووافقهم على مال يعطيهم وساروا للوقت الى عسكر مكرم وأفرجوا عن قصبة الاهواز فعمل القراريطى بها مالا يعمله الدمستق وفتح الدكاكين بالليل وبعث اليها البغال وحمل منها أمتعة التجار وصادر الاسود والابيض ولما ورد الخبر بنزول يلبق السوس نفذت الجماعة الى تستر وورد البريدي وسلك طريق القراريطى وزاد ومازال يحتال حتى وفّى الخمسين الالف الدينار ثم وافى يلبق والجيوش جسر تستر فوجده مقطوعا وحال بينه وبين تستر دُجيل .

حكى عن أبى عبد الله البريدى بعد ذلك انه قال : همتُ بالتغلب ووضعتُ فى نفسى الامرة وتدبير الرجال منذ ذلك لمّا رأيتُ انحلال يلبق

وسقوط ابن الطبرى كاتبه لاني رأيتهما متخلفين ساقطين . وكان الشارد قد طار وضجّ يلبق واضطرب رجالهُ فهمّ بالانصراف فثبتهُ أبو عبد الله البريدى وما زال بتردّد الى القوّاد ويهزّهم ويهاديهم ويسكنهم ويكاتب ابنى رائق بالمودة ويشير عليهما بمفارقة ابن ياقوت ويذكر لهما سوء اخلاقه وشدة عجبه وتطاوُله [٤٠٧] عليهما حتى استجابا الى تقلد البصرة والانصراف عن تستر . فما عرف ابن ياقوت الخبر حتى ضربا بالبوق بكرةً ورحلا فلم يكن له بهما يدان لانه لو كاشفهما لعبر العسكر الذى بازائه اليه وقتل أو أسر

ولما توجه ابنا رائق الى البصرة استأذن مفلح وسرور فى العبور بعبد الواحد الى يلبق وقالوا لمحمد بن ياقوت : قد ضعفت نفوسنا وأنت معتصم برجالك ونحن فلا عدة لنا ولأصحابنا الا غلماننا. فردّ الاختيار اليهم كاتبوا وتوثقوا لنفوسهم من يلبق وعبروا اليه وتحير محمد بن ياقوت فراسل يلبق فى أن يحلف بسلامة نيته اذا لقيه ليعبر اليه ويفاوضه ويعود الى معسكره فأجابه وحلف له على ذلك وعبر اليه محمد بن ياقوت بدُرّاعة بيضاء وعمامة وجمشك فى رجله ومعه غلام واحد وقت العصر فقام له يلبق وتفردا وتطاولا حديثاً ما عرف فى الوقت . واشتعلت النيران فى ثياب البريدى وتردّد دفعات الى ابن الطبرى يشير بالقبض على ابن ياقوت وراسل ابن الطبرى يلبق بذلك وقال له : البريدى خليفة الوزير وثقة الاستاذ مونس يشير بذلك ولست أقول أنا شيئا . فقال يلبق : ما كنت بالذى أخفر أمانتى [٤٠٨] وأحنث فى يمينى ولو ذهبت نفسى . وحضر وقت الصلوة فقام محمد بن ياقوت تحت الفازة فى موضع فسح فأذن وأقام وتقدم للصلوة يلبق واكثر العسكر وراءه ولما استتم المكتوبة انثنى الى يلبق معانقاً له فقام اليه وودع كل

واحد منهما صاحبه وعاد محمد بن ياقوت الى عسكره . وظهر السر وكان تعاتبهما أولا ثم تحالفا وتعاقدا واصطلحا على أن يسيرا الى الحضرة بشروط الامان على أن يكون بينهما فى المسير منزل فنزل

ورحل محمد بن ياقوت بعد ثلاثة أيام من تستر الى عسكر مكرم ودخل يلبق تستر فعمل بها البريدى أعظم مما عمل القراريطى بكثير لان الناس توقوا منه فلما رأوا اصحاب السلطان أنسوا . فأتى البريدى عليهم وكبس اليهود وهم معظم التجار وتجاوز كل قبيح ووفى بالمائة الالف الدينار وسار يلبق الى الاهواز وأهلها هاربون من محمد بن ياقوت فسلموا لانهم مضوا الى البصرة. وابتلى البريدى أهل عسكر مكرم وتستر فأيسر ماعمل ان ركب الى دور الصيارف فأخذ ما وجد من الاموال لهم ولمن يضاربهم وخسف بالسواد حتى صحح ليلبق مائتى الف دينار (٤٠٩) وبقيت على البريدى خمسون الف دينار وعنى به ابن الطبرى لان البريدى خدمه خدمة تامة حتى انه كان يحضر أبواب البيع فى البلدان ويجلس على غاشيته ينتظر خروجه فاذا خرج سأله أن يعطيه برشائه فاذا اعطاه قبله وجعله فى كمه واشهد له بضياع ارتفاعها عشرة آلاف دينار فكان ذلك سبب عناية ابن الطبرى به . وخاطب له يلبق وقال له : أبو عبد الله ثقة ونجعل هذه الخمسين الالف الدينار فيما يخص الأمير (وكان مالهُ فى الجملة) وقد خدم وبيّض وجه الأمير فيما خدم ودبر وبدّد شمل هولاء وانه لأحقُّ بمجلس أبى على ابن مقلة منه وأنفذ فى التدبير والامور . فأجابهُ يلبق الى ما سأل وخلف غلاماً عند البريدى يقال له ايتاخ

ورحل ابن ياقوت الى شابرزان وتبعهُ يلبق ودخلوا مدينة السلام. وأطلقت أملاكُ ابني رائق ومحمد بن ياقوت ومُفلح وسرور دون اقطاعاتهم وأطلق لعبد الواحد بعض أملاكه القديمة وأعفى هو ووالدته من المصادرة وعادت يد ابن البريدي الي عمالة الاهواز واستقامت الامور. وخلع القاهر على يلبق وطوّقه وسوّرَهُ (٤١٠) بطوقين وسوارَيْن مرصّعَيْن بالجوهر

وخرج أمر القاهر ببيع دار المخرّم التي كانت برسم الوزارة وكانت قديماً لسليمان بن وهب فقطعت وبيعت من جماعةٍ من الناس بمال عظيم لان ذرعها يشتمل علي أكثر من ثلمائة الف ذراع وصرف ثمنها فى مال الصلة لبيعة القاهر بالله

وورد الخبر بموت تكين الخاصة بمصر[1] فاشار الوزير أبو على ابن مقلة بانفاذ على بن عيسى اليها للاشراف عليها فابتدأ بالاستعداد للخروج ثم صار الى أبي على ابن مقلة فى بعض العشايا وصادفهُ خالياً فعرّفهُ كبر سنه وضعف حركته ونقصان قوّته وانه لايستشفع اليه بغير كرمه ولايوسط بينه وبينه أحدا غيره وحلف على موالاته ايماناً أكّدها وسأله اعفاءهُ من الشخوص وتذلل له وانكبّ على يده ليُقبلها فمنعه من ذلك وخاطبه بمعرفته بحقه وعلمه بمكانه فاعفاه من الشخوص فانصرف على بن عيسى شاكراً. وورد كتاب محمد بن تكين يخطب مكان أبيه فاجيب الى ذلك وحُمل اليه الخلع والعهد.

وكتب القاهر رُقعةً بخطه الى أبي علي ابن مقلة بالتكنية وبزيادة فى التشريف والرتبة وأمره (٤١١) ان يكتب بذلك الى الامصار والاعمال كلها ففعل ذلك ثم حمل اليه خلعةً بعد خلعة للمنادمة وحمل اليه صينية فضة مذهبة

(١) لراجع كتاب الولاة لابي عمر الكندى ص ٢٨١

فيها ند وعنبر وغالية ومسك وصينية أخرى فيها رَطلية بلور فيها شراب مطبوخ عتيق وقدح بلور وكوز ومغسل فضة .

وشغب الجند بمصر على محمد بن تكين فقاتلهم وهزموه

وفى هذه السنة استوحش مونس المُظفر و يلبق وعلىّ ابنه والوزير أبو على ابن مقلة من القاهر بالله فضيّقوا عليه وعلى أسبابه

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان السبب فى ذلك انحراف الوزير أبى على ابن مقلة عن محمد بن ياقوت فمكّن فى قلب مونس المُظفّر ويلبق وعلى ابنه انه في تدبير عليهم مع القاهر بالله وان عيسى المتطبب يترسل للقاهر اليه فوجه مونس بعلى بن يلبق الى دار السلطان وسأل عن عيسى فعُرّف انه بحضرة القاهر فهجم عليه غلمان على ابن يلبق فوجدوه واقفا بحضرة القاهر فقبضوا عليه وأخرجوهُ اليه فنفاه من وقته الى الموصل . واجتمع رأى مونس ويلبق وابنه والوزير أبى علىّ على الايقاع بمحمد بن ياقوت والنداء فى أصحابه[٤١٢] الا يقيموا ببغداد .

فلما كان يوم الاربعاء لليلة خلت من جمادى الآخرة خرج على بن يلبق فى الجيش ومعه طريف السُبكرى للايقاع بمحمد بن ياقوت وبلغ محمد ابن ياقوت ذلك فانكشف من معسكره من ميدان الاشنان وطلبهُ على بن يلبق فلم يقف على خبره وذلك انه دخل الى بغداد واستتر بها وتفرق رجالهُ وانصرف على بن يلبق من فوره الى دار السلطان وأوقع التشدّد على القاهر ووكل بالدار أحمد بن زيرك وأمره ان يفتش كل مَن يدخل ويخرج من الرجال والنساء والخدم ويفتش كل ما يدخل الى القاهر ففعل أحمد بن زيرك ما أمره به حتى بلغ الامر به أن فتش لبناً حُمل الى القاهر وأدخل يده فيه لئلا

يكون فيه رقعة . ونقل علي بن يلبق المحبوسين في دار السلطان الى داره من والدة المقتدر وغيرها ومنع القاهر أرزاق حشمه وأكثر ما كان يقام له وطالب علي بن يلبق القاهر ان يسلم اليه ما بقي عنده من الفرش وأمتعة والدة المقتدر وابن الخال فسلّم ذلك اليه وبيع وحُصّل ثمنه في بيت المال وأطلق للجند . وباع أبو علي ابن مقلة من الضياع وأملاك السلطان لتمام (٤١٣) الصلة للبيعة بالنهى ألف وأربعمائة الف دينار مع ما باعهُ الكلوذاني أيام خلافته اياه قبل قدومه من شيراز . ومكثت والدة المقتدر عند والدة علي بن يلبق مكرمةً مرفّهةً مدّة عشرة أيام وماتت لستّ خلون من جمادى الآخرة لزيادة العلة عليها ولما جرى عليها من مكاره القاهر فحملت الى تُربتها بالرصافة ودفنت فيها .

وفيها هم علي بن يلبق والحسن بن هرون كاتبه بلعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر فاضطربت العامة من ذلك وتقدم علي بن يلبق بالقبض على البربهاري (١) رئيس الحنبلية فنذر به وهرب وقبض على جماعة من كبار

(١) هو الحسن بن علي بن خلف أبو محمد البربهاري الفقيه العابد شيخ الحنابلة بالعراق ومات سنة ٣٢٩ كذا في تاريخ الاسلام للحافظ الذهبي وفي ترجمته انه كان شديداً على المبتدعة له صيت عند السلطان وجلالة وكان عارفاً بالمذهب أصولا وفروعا وصحب سهل بن عبد الله التستري وانه لما قبض على أصحابه استتر هو وأعاده الله الى حشمته وزادت . ثم لم تزل المبتدعة يوحشون قلب الراضي بالله عليه (وهذا في سنة ٣٢٦ كما سيأتي ذكره) فاختفى البربهاري الى ان توفي مستتراً ودفن في دار أخت ابن مقلة . وقيل انه لما كفن وعنده الخادم صلى عليه وحده فنظرت من الروشن ست الخادم فرأت البيت ملآن رجالا بثياب بيض يصلون عليه فخافت وطلبت الخادم تهدده كيف أذن للناس فحلف ان الباب لم يفتح . ويقال انه تنزه عن ميراث أبيه لم يأخذه وكان سبعين ألفاً .

أصحابه وجُعلوا فى زورق مطبق وأحدروا الى البصرة

وفيها نفذت حيلة القاهر على مونس المظفر وانعكس ما دبره الوزير أبو على ابن مقلة من القبض على القاهر حتى قبض على مونس ويلبق وابنه وهرب أبو على بن مقلة والحسن بن هرون

﴿ ذكر انعكاس هذا التدبير ﴾

لما ضيّق على بن يلبق على القاهر وعومل بما ذكرناه أخذ القاهر فى الحيلة على مونس وأصحابه وابنه فساد نيّة طريف السبكرى وبشرى ليلبق وابنه [٤١٤] ومنافستهما اياهما على مراتبهما الجليلة ثم علم أن مونسا ويلبق أكثر اعتمادهما انما هو على الساجيّة وكانا وعداهم بالموصل اذا دخلا بغداد أن يجعلاهم برسم الحجرية وانهما ماوفيا لهم بذلك وان نيّاتهم متغيرة لهما. فراسل القاهر الساجية وهزّ بهم على مونس ويلبق وضمن لهما أن ينقلهم الى رسم الحجرية (وكان الساجية يقبضون في كل ستين يوماً برسم المماليك والحجرية يقبضون فى كل خمسين يوماً) وان يلحقهم فى النزل والعلوفة بالحجرية .

وكان بين اختيار القهرمانة وبين أبى جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله معرفة قديمة وبينها وبين والدته مخالطة فأشارت على القاهر بمكاتبته وأن يعده بوزارته ليعاونه على التدبير على مونس وأصحابه وأشارت على محمد بن القاسم بأن يكاتب القاهر ويصدقه عن تدبير أبى على بن مقلة وابن يلبق عليه. وكانت اختيار هذه تخرج من دار السلطان الى دار القاهر القديمة التى فى دار ابن طاهر وتظهر أن خروجها فى حوائج حرم القاهر وولده فاذا كان بالليل صارت الى محمد بن القاسم ولقيته . وبلغ أبا على ابن مقلة أن القاهر قد جدّ فى التدبير عليه وعلى مونس ويلبق وابنه [٤١٥] والحسن بن هرون وحملهم على

الجد والمبادرة الى خلعه من الخلافة واتفق رأيهم على تقليدها أبا أحمد ابن المكتفي بالله ووافقوا شاذ مروز حماة ابراهيم بن خفيف صاحب ديوان النفقات وكانت متحققة بابي أحمد على ما دبروه وعقدوا الامر سرًا لابي أحمد ابن المكتفي بالله وحلف له يلبق وابنه وأبو علي ابن مقلة والحسن بن هرون ثم كشفوا ما فعلوه لمونس فقال لهم مونس : لست أشك في شر القاهر وقد أسرفتم في الاستهانة به وأخطأتم في تقليده الامر فلا تعجلوا الآن وترفقوا حتى تؤنسوه ويأنس وينبسط اليكم ثم حينئذ تقبضون عليه. فقال علي بن يلبق والحسن بن هرون : الحجبة الينا والدار في أيدينا وما نحتاج ان نستعين باحد في القبض عليه لانه بمنزلة طائر في قفص. وعملوا على معاجلته

فاتفق ان ركب يلبق الى الميدان فصدمه خادم له فسقط واعتل ولزم منزله وتمكن علي بن يلبق من متابعة ابن مقلة وحسنوا الامر عند مونس وهوّنوه عليه وعلى يلبق حتى أذنا فيه . فلما كان يوم السبت سلخ رجب انصرف أبو علي ابن مقلة من دار السلطان واجتمع اليه كتابه وأخوه ومن جرى عادته بمواكبته (٤١٦) وفيهم أبو بكر ابن قرابة فلما فرغ من طعامه التفت الى أبي بكر ابن قرابة فقال له : قد وافى صديقك القرمطي الى الكوفة في ثلاثة آلاف راحلة ومعه صاحبه فلان ودخل الكوفة ونادى بانه قد آمن الرعية سوى أصحاب المعروف بمحمد الملقّب بالقاهر . فقال ابن قرابة : أيها الوزير هذا باطل لان ابن بسر الكوفي جاري واليوم كان عندي وقد وقعت عليه أطيارٌ باخبار السلامة . فقال أبو علي : سبحان الله أنت وابن بسر أعرف من صاحب المونة بالكوفة وقد سقط من عنده طائرٌ على أبي الحسن ابن يلبق وقد جاءني سعيد بن حمدان ومعه رجل من الاعراب قد قتل

نفسه وقطع عدّة من الافراس تخبر عن معاينة ومشاهدة . وكان ابن مقلة قد واطأ سعيد بن حمدان على ذلك . ثم دعا بالدواة وثلث قرطاس وكتب بخطه الى القاهر رُقعة يقول فيها : ان القرمطي الهجري المعروف بابي طاهر قد وافى الكوفة في ثلاثة آلاف راحلة فنزلها وسقط على من عامل الخراج وعلى عليّ بن يلبق من عامل المعونة طائر ان بكتابين بتاريخ يومنا هذا بنزوله ونزول أصحابه بها وانى أنا ويلبق سترنا ذلك عن القوّاد (٤١٧) والجند وخواص الدولة لئلا يذيع الخبر وتضعف قلوب الاولياء وقد اتفقتُ مع مونس على اخراج علي بن يلبق مع أكثر قوّاده وقوّاد أبيه الى نواحي الكوفة ليدفع القرمطي عن الرحيل منها الى بغداد وهو يخرج في سحر غد ماراً الى صرصر من حيث لا يضرب بباب بغداد مضرباً حتى يلحق به الرجال وقد وجه النقباء في عشية يومنا وقد وافقت عليّ بن يلبق على الرواح الى دار مولانا أمير المؤمنين ليصل اليه ويودّعهُ وعمتُ على التأخر لئلا يشيع الخبر بحضوري في غير وقت حضور مثلي الدار ويفسد التدبير في خروج علي بن يلبق بكرة غد وأنهيت ذلك الى أمير المؤمنين ليقف عليه ويسكن الى ما دبرتهُ وينعم بايصال عليّ بن يلبق اذا حضر العشية ان شاء الله . وأنفذ الرقعة ونام فكتب القاهر في جوابها : وانه استصوب فعلهُ وبانه يوصل ابن يلبق اذا حضر . ولما انتبه ابن مقلة من النوم لم ينتظر ورود جواب رقعته الى القاهر وأعاد اليه رُقعةً ثانيةً بمثل ما كتب به فلما وصلت الثانية الى القاهر ولم تكن الحالُ تقتضيها لنفوذ جوابه عن الاولى استراب وخاف ان تكون حيلة عليه . ثم نم اليه (٤١٨) الخبر من جهة طريف السبكري بما عمل عليه علي بن يلبق من القبض عليه اذا أوصله اليه فاخذ القاهر حذرهُ وراسل

الساجية بالحضور وعرّفهم ان علي بن يلبق يحضر لحيلة يوقعها فحضروا متفرّقين . فلما كان بعد العصر حضر علي بن يلبق وفي رأسه نبيذ ومعه عدد يسير من غلمانه بسلاح خفيف في طيارة وأنفذ جماعة من غلمانه بسلاح الى دار السلطان وصعد من طيّاره في الروشن وراسل القاهر يسألهُ ايصاله اليه فدافعه القاهر الى أن حضر الساجيّة كلهم بالسلاح . فبرزوا اليه وشتموهُ وعملوا على القبض عليه وحامى عنه غلمانه وحاجبهُ ابن خندقوقي وحالوا بينه وبينهم ونادى بهم وطرح نفسه من الروشن الى الطيّارة وعبر واستتر من ليلته . وبلغ ابن مقلة الخبر فاستتر من ليلته واستتر الحسن بن هرون وأبو بكر ابن قرابة وانحدر يلبق الى دار السلطان وانحدر بانحداره جميع من حضر دار مونس من القوّاد. وقدّر يلبق انه يمسح القاهر ويعتذر لانه فلما حصل في الدار قبض عليه وحبس وقبض على أحمد بن زيرك وعلى يمن الاعور صاحب الشرطة وحصل الجيش [٤١٩] كله في دار السلطان .

فراسل حينئذ القاهر مونسا وسأله الانحدار اليه ليشاوره فيما يعمل وقال له : أنت عندي كالوالد وما أحبُّ ان أعمل شيئاً ولا أمضي عزما الا عن رأيك فاعتذر مونس بثقل الحركة عليه وألح القاهر في طلبه وسأله الحمل على نفسه فاستقبح له طريف السبكري التأخر وحملهُ على الانحدار فلما حصل في الدار قبض عليه وحبس

﴿ وزارة أبي جعفر محمد بن القاسم ﴾ (١)

فكانت وزارة علي ابن مقلة للقاهر تسعة أشهر وثلاثة أيام ووجه القاهر الى أبي جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله فاستحضره يوم الاحد

(١) هذه الترجمة زدناها

مستهل شعبان فلقيه وقلده وزارته ودواوينه وخلع عليه من غد وهو يوم الاثنين خلع الوزارة ووجّه القاهر من يومه بمن استقدم عيسى المتطبب من الموصل وطرحت النار فى دار أبى على ابن مقلة بباب البستان وأحرقت ووقع النهب ببغداد . وظهر محمد بن ياقوت وصار الى دار السلطان وخدم فى الحجبة يومه ذاك ثم وقف على كراهية طريف السبكرى والساجيّة والحجريّة اياه فاحتال الى ان تمّ له الهرب واستتر وانحدر الى أيه وهو بفارس (٤٢٠) فلم يتجاوز كورة ارّجان ولا لقى أباهُ . وكان جلس فى الماء بزىّ أصحاب المحابر (١) وركب البحر ووافى مهروبان وجاء ليلا الى ارّجان فنزل على أبى العباس ابن دينار . وحمل اليه أبوه مالاً وكسوة ودوابّ وكانت له على فارس تسبيبات فاستوفاها ولحق به رجالهُ وكاتبهُ القاهر بما يسكّنهُ منه وأعلمه انه عجل على نفسه واستوحش وقلده المعاون بكور الاهواز فاقام بارّجان حتى اعتل وكان يفسد مزاجه ثم انتقل الى رامهرمز . وكان القاهر قد كاتب مرداويج بالافراج عن أصبهان ليقلده الرىّ والجبل ويصير فى جملة الاولياء ويزول عنه العصيان فاتم له . وكاتب وشمكير بالانصراف عن أصبهان فانصرف وبقيت شاغرة سبعة عشر يوما خالية من مدبر وكاتب القاهر محمد ابن ياقوت بتقليده أصبهان وأمره ان يسير اليها وكان ذلك بعقب هزيمة المظفر بن ياقوت وبعد انصراف على بن بويه من أصبهان . فاخذ محمد بن ياقوت فى التأهب فبقى هو كذلك اذ ورد عليه الخبر بخلع القاهر فانتكث أمرهُ .

ولما استتر على بن يلبق وهرب محمد بن ياقوت استحجب القاهر

(١) وفى التكملة : يزى الصوفية

سلامة الطولونى وطلب المستترين وقلّد أبا العباس أحمد بن [٤٢١] خاقان الشرطة ببغداد وطلب أبا أحمد ابن المكتفى فوجده مستترا فى دار عبد الله بن الفتح فقبض عليه وتقدّم القاهر بان يقام فى فتح باب ويسدّ عليه بالجص والآجرّ وهو حيّ ففعل [١] وأمر بنهب دور بني مقلة ودار الحسن بن هرون ودار أبى بكر ابن قرابة . ووُجد على بن يلبق مستترا بقُرب باب المقبرة وكبس وأخذ من تنور كان دخله لما أحس بالكبس وأطبق على نفسه بغطاء التنور وقد كان خفى أمره وخرج من كان يفتش عنه حين لم يجده فاتفق ان تأخر بعض الرجالة لطلب شئ يأخذه من الدار فانتهى الى التنور وطلب فيه خبزا يابسا فلما كشفه وجد على بن يلبق فصاح حتى رجع القوم وأخذوه وحملوه الى دار السلطان . وضرب بحضرة القاهر ضربا مبرحا فاقر بعشرة آلاف دينار فوجدت وصُحّحت فى بيت المال ثم أعيد الضرب عليه فلم يوجد له غيرها وحبس

وكان الحسين بن القاسم بن عبيد الله مستترا فراسله أخوه الوزير محمد ابن القاسم بن عبيد الله وسأله ان يظهر ويعينه حتى يقلده ديوان السواد وديوان الجيش وديوان النفقات ويستخلف له الكلواذى وابراهيم بن خفيف وعثمان بن سعيد [٤٢٢] وحلف له بحضرة السفير الذى كان بينهما بالله العظيم وبسائر ايمان البيعة بعتق مماليكه وبطلاق نسائه على صحة ضميره له

---

(١) وفى تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٢١: قال ثابت بن سنان : قبض المقتدر على أبي أحمد بن المكتفي واعتقله لانه بلغه أن جماعة سموا في خلافته. وذكر أيضاً عن الصولى أن القاهر ضربه ضرباً مبرحاً يقرره على المال فما دفع اليه شيئاً ثم أمر به فلف في بساط الى أن مات رحمه الله

وبان باطنه له مثل ظاهره فيما بذلهُ له وكتب له بذلك رقعة بخطه أشهد فيها الله على نفسه وتسلم ذلك السفيرُ وحمله الى الحسين فاعاد عليه ما جرى ولم يزل محمد يتوقع أخاه الى آخر النهار . فحكى ابن أخيه القاسم بن الحسين ان عمّه الوزير أبا جعفر صار فى الليلة الى الحسين أخيه وليس معه غلام فخاطبه فى الظهور وسأله معاونته بنفسه وأعاد عليه تلك الايمان حتى وعده بالرواح اليه وعرف الحسين أصحابهُ فاجتمعوا بالعشى له وركبوا بركوبه وصار الى أخيه وكان الوزير أخوه قد أعدّ له زورقا مطبقا فلما حصل عنده أمر بتحصيله فى الزورق . فوقفت والدتهُ على خبره فجاءت حتى وقفت له على شاطئ دجلة فى الموضع الذى ينزل منه الى طياره وهناك خلق من الناس فاستغاثت اليه وكشفت شعرها بين يديه وأظهرت ثديها وحلّفته بكل حق لها عليه ان يطلق ابنها فلم يلتفت اليها ولا يفكر فيها وجلس فى طيّاره وانحدر الى دار السلطان فلم يبق أحد ممن حضر (٤٢٣) الا استقبح فعله ودعا عليه وذهب فحكى للقاهر انه انما طلب أخاه الحسين وتاه الى الرقة لما كان يعتقد من مذهب ابن أبى العزاقر وانه خاف منه على الدولة . فوكل القاهر بدور بني بسطام لما كان يذكر عنهما فى اعتقادهما لدين ابن أبى العزاقر

﴿ ذكر مقتل مونس ويلبق وعلىّ ابنه ﴾

اضطرب حال مونس ويلبق وشغبوا وشغب معهم سائر الجيش وخرجوا الى الصحراء ثم قصدوا دار الوزير أبى جعفر محمد بن القاسم وأحرقوا روشنه ونادوا بذكر مونس فكان ذلك سبب القتل لمونس . ودخل القاهر الى الموضع الذي كان فيه مونس ويلبق وابنه معتقلين فذُبح على بن يلبق بحضرته ووجه برأسه الى أبيه فلما رآه جزع وبكي بكاء عظيما

ثم ذبح يلبق ووجه برأسه ورأس أبيه الى مونس فلما رآهما لعن قاتلهما فأمر به فجرّ برجله الى البالوعة وذُبح كما يذبح الشاة والقاهر يراه. وأخرجت الرؤس الثلاثة فى ثلاث طسات الى الميدان حتى شاهدها الناس وطيف برأس على بن يلبق فى جانبي بغداد ثم رُدّ الى دار السلطان وجُعل مع سائر الرؤس فى خزانة الرؤس (٤٢٤) على الرسم (١)

قال ثابت : حدثنا سلامة الطولونى الحاجب انه لما أُخرج اليه رأس مونس ليصلحه فرّغ الدماغ منه ووزنه فكان ستة أرطال وسمعت انا ذلك من الجُنفي وكان حاضره

ومما جرى في ذلك انه كبس جماعة من الفرسان والرجالة أبا بكر ابن نباتة العدلَ الدقاق فى درب الريحان وأظهروا أن السلطان وجّه بهم لطلب الحسن بن هرون وأخذوا من منزله ثلاثين ألف دينار وطرحوا منديلا على رأس واحد منهم وأخرجوه وأظهروا انه الحسن بن هرون فركب أحمد بن خاقان فى طلب القوم فظفر بواحد منهم وقرّره فاقرّ على جماعة ظفر ببعضهم ووجد اليسير من المال وقتل من وُجد من هؤلاء الكباسين.

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام . ثم ذبح يمن وابن زيرك ثم أطلقت أرزاق الجند فسكنوا واستقامت الامور للقاهر وعظم في القلوب وزيد في القابه « المنتقم من أعداء دين الله » ونقش ذلك على السكة . ثم أحضر عيسى المتطبب من الموصل وأمر أن لا يركب في طيار سوى الوزير والحاجب والقاضى وعيسى المتطبب . وقال أبو بكر الصولى في كتاب الاوراق : حدثنى الراضى قال: لما قتل القاهر مونساً ويلبق وابن يلبق أنفذ رؤسهم الىّ مع الخدم يتهددنى بذلك وأنا فى حبسه لأنى كنت فى حجر مونس فقطنت لما أراد وقلت «ليس الا مغالطته» فسجدت شكراً لله وأظهرت للخدم من السرور ماحملهم على ان جعلوا التهدد بشارة وجعلت أشكره وأدعوله فرجعوا بذلك

وفيها خرج أمر القاهر بتحريم القيان والخمر وسائر الانبذة وقبض على من عرف بالغناء من الرجال والمخانيث والجوارى المغنيات فنفى بعضهم الى البصرة وبعضهم الى الكوفة وبيع الجوارى على أنهن سواذج [١] وكان القاهر مع ذلك مولعا بشرب الخمر ولا يكاد يصحو من السكر ويسمع الغناء ويختار من جواري القيان من يريد

وسعى بابى عبد الله ابن مقلة [٢] (٤٢٥) فوجد وقبض عليه ووُجد عنده خطوط أخيه أبي على فى رقاع فحمل الى دار الوزير أبي جعفر فسأله عمن كان يوصل اليه الرقاع فذكر ان أبا عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى [٣] كان ينفذها اليه فقبض عليه وعلى أخيه وسئلا عما يعرفان من خبر أبي على بن مقلة فحلفا انهما لا يعرفان له خبراً منذ استتر وعرّف القاهر انهما من قواد السلطان وسُهل أمرهما فأطلقا ولم يستترا وكانا يركبان فى أيام المواكب الى دار السلطان .

---

(١) ساذجة غير بالغة : كذا في لسان العرب ٣ : ١٢١ (٢) وردت ترجمته في كتاب ارشاد الاريب ٣ : ١٥٠ (٣) هو مذكور فى كتاب الفهرست ص ١٢٧ وفيه انه صنف كتاب الوزراء ذكره هلال الصابي في كتاب الوزراء ص ٢ ونقل منه أبو على التنوخى في الفرج بعد الشدة ١ : ١٠٨ وتوجد نسخة كتاب الجهشيارى في كتبخانة وين وقال فى حقه أبو بكر الصولى في كتاب الاوراق (في سنة ٣٢٤ في وزارة أبي جعفر الكرخى) : وقبض على أبي عبد الله ابن عبدوس وصودر على مائتى الف دينار فتكلم سعيد بن عمرو في خطيئه والوزير يخالفه حتى شرق الامر بينهما فكان ذلك سبب زوال الكرخي وقال أيضاً أنه في سنة ٣٢٦ هجم الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات بعقب خروجه الى الشام على أبي عبد الله ابن عبدوس وطواب بمال عظيم ثم تقرر أمره على خمسة عشر الف دينار وأخذت منه بالوف منها جارية حسنة كانت له وترك له من أجلها الباقي

وقبض الوزير أبو جعفر على أبي جعفر محمد بن شيرزاد واحتج عليه بأنه قد تقلد أعمالا جليلة وابتاع من المبيع ضياعا كثيرة وان ارتفاعه قد بلغ الف الف درهم فى السنة فتوسط بينه وبينه اسحاق بن اسماعيل وأخذ خطه بعشرين الف دينار وأطلق الى منزله من يومه

﴿ذكر السبب في تقليد أبي العباس الخصيبي الوزارة﴾

كان بنو البريدى بعد استتار ابن مقلة والجماعة استتروا فقلد الوزير مكانهم على أعمالهم أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخى فتوسط اسحاق بن اسماعيل أمرهم فأخذ لهم (٤٢٦) اماناً من الوزير حتى ظهروا: ثم أشار اسحاق على الوزير أبي جعفر بان يخاطب القاهر فى أمر بنى البريدى ويعرفه أن الوجه ردهم الى ضمانهم بالبصرة والاهواز فقبل الوزير مشورته وخاطب الخليفة وعرفه انه ذامٌ لمحمد بن القاسم الكرخى لتقصيره فى أمر استخراج الاموال وحملها وان البريديين أقوم بذلك وأطمعه فى أن يزداد عليهم فى مقدار مال الضمان فوعده القاهر وقال: حتي أنظر فى ذلك . واستدعى القاهر عيسى المتطبب وأعاد عليه ما جرى وكان عيسي كارها للوزير محمد بن القاسم لانه لم يكن له مدخل فى تقليده الوزارة لغيبته بالموصل فطعن على هذا الرأى وعلى الوزير أبي جعفر وأشار بتقليد الخصيبي الوزارة فأمره القاهر بلقاء الخصيبي ومسئلته عما عنده فى أمر البريديين وغيرهم فصار اليه وتقرر الامر معه وضمن استخراج أموال جليلة

وكتب الى القاهر على يد عيسى انه متي ظهر انه تقلد الوزارة استتر من عنده الاموال التى وعد باستخراجها وان الوجه أن يتقدم الى الوزير بالقبض على جماعة سماهم على مهل فاذا قبض عليهم وجه القاهر فحملهم الى داره وانتزعهم

من يد الوزير فتركهم معتقلين أياما ثم قبض على الوزير محمد بن القاسم . ففعل القاهر ذلك[٤٢٧] وتقدم الى سابور الخادم بالمصير الى دار الوزير والقبض على بني البريدى واسحاق بن اسماعيل فوجه سابور بثقة له الى دار الوزير لينظر هل يجدُ فيها بني البريدى واسحاق بن اسماعيل فيرجع اليه بالخبر. وكان بنو البريدي قد نصبوا أصحاب أخبار على سابور وسلامة وأصحاب القاهر فبلغهم ما تقدم به سابور الى الرجل الذى وجه به يتعرف أخبارهم فاستتروا . وكان سابور قد قال لثقاته : ان الخليفة امرنى بتفتيش دار اسحاق لانه قد بلغه أن جواريه قد سترن جماعة من جوارى القيان. وأمرهم أن يستعدوا للركوب معه فبلغ الخبر اسحاق من وقته ولم يقع له ان ذلك لمكروه يراد به فقال لجواريه . ان صار اليكم سابور يطلب المغنيات فلا تمنعوه ودعوه يفتش . وانحدر هو الى دار الوزير وصار سابور الى دار الوزير أبي جعفر فوجد اسحاق بحضرته فقبض عليه وحمله الى دار السجان

ووجه القاهر بمن كبس دُور البريديين فلم يوجدوا وكبست دُور اسحق فى النوبختية وعلى شاطئ دجلة وتهارب حرمه وولده وسلموا وقبض على أحمد بن على الكوفى كاتبه . واستحضر القاهر على بن عيسى وعرّفه انه ليس[٤٢٨] لوزيره نظرٌ فى أعمال واسط وسقي الفرات وكانت فى ضمان اسحق وقلده هذه الاعمال واعتمد فى تدبير المعاون فيها عليه ووقع له بخطه فتقلده على بن عيسى

وورد الخبر بموت أبي على أحمد بن محمد بن رستم باصبهان [١] وان المظفر

(١) وفي ارشاد الاريب ٦ : ٤٢١ انه رتب مكانه أبو مسلم بن بحر (المتقدم ذكره ص ٦٠) فعزل هو بدخول على بن بويه أصبهان بعد هزيمته المظفر بن ياقوت (سيأتى ذكرها)

ابن ياقوت مدّ يده الى ماله ودوابه فحازها لنفسه وكان المظفر اليه أعمال المعاون باصبهان فتنكر القاهر له ولابيه ولاخيه . وسُعي بأبي يوسف البريدي فكبس عليه واخذ وحمل الى دار الوزير محمد بن القاسم فأجمل عشرته وكتب القاهر الى الوزير بأن يقرّر معه مصادرته ومصادرة أخويه فأحضره الوزير وخاطبه وسامَهُ ان يقرّر الامر معه فى مصادرتهم فقال له أبو يوسف : اذا وثقنا بأن الامر لك وانك مقرّ على الوزارة قررنا الامر معك فاما ونحن نتحقق ان الوزارة لغيرك فلا يجوز فصل الامر معك. فلما كان يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة انكسف القمر وقبض القاهر على الوزير محمدبن القاسم أنفذ اليه سابور الخادم فأخذه وأخذ من وجد فى داره وفيهم أبو يوسف البريدى وغيره فنقلهم الى دار السلطان فكانت [٤٢٩] مدّة وزارة أبى جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان للقاهر ثلاثة أشهر واثنى عشر يوماً .

ووجه القاهر الى اسحق بن على القنّائى وأحضره وأحضر معه عبد الوهاب بن عبد الله الخاقانى على ان يقلّد أحدهما الوزارة والاخر الدواوين فلما حضرا قبّل القوّاد أيديهما وجلس بين أيديهما سلامة الحاجب فلم يلبث ان خرجت رسالة القاهر بالقبض عليهما وإدخالهما الحبوس الغامضة . ثم وجّه القاهر الى سليمان بن الحسن واستحضره للوزارة وحضر فى طيّاره وتلقاه القوّاد والناس وقبّلوا يده وجلس الاستاذون بين يديه فى دار السلطان ووجّه القاهر من قبض عليه وأدخله الحبوس الغامضة . ووجه الى الفضل ابن جعفر للوزارة وقد ظهر ما عملهُ بالخاقاني وبسليمان فاستتر الفضل ولم يتقرّر الوزارة لاحد فى ذلك اليوم .

فلما كان من الغد تقدّم القاهر الى عيسى المتطبب ان يحضر الخصيبى يوم الخميس ويأمره بالتاهّب للوزارة وان يحضر بسواد وسيف ومنطقة فراسله عيسى بذلك فحضر كما رُسم له وخلع عليه خلع الوزارة وركب فيها الىَ داره وتلقيه الناس فهنئوه[٤٣٠] ونظر فى الدواوين وقلّدها من استصاحهُ. ونصب ديواناً للمبيع واحضر الناس وناظرهم والزمهم لِفضل مابين المعاملتين خمسين ألف دينار وكتب لهم شروطا ووقع لهم فيها بالامضاء وصادر الناس وقبض على خلق .

وتوسط عيسى وسلامة الحاجب أمر البريديين بعد مكاره عظيمة لحقت أبا يوسف على اثنى عشر ألف ألف درهم وكتبت الامانات لاحمد وعلىّ ابنى البريدى بخطّ الخليفة والوزير واشهدا القضاة والعدول فيها على أنفسهما فظهرا . فحكى أبو زكريا السوسى وأبو سعيد ابن قديدة ان أبا عبد الله البريدى حضر عند أبى العباس الخصيبى بطيلسان وعمامة وخفّ وهما معه فاستخلاهُ المجلس فاخلاهُ له فعاتبه عتاباً طويلاً وذكّرَهُ بحقوق كثيرة وضروب من الخدمة خدَمهُ بها فى أوقات مختلفة عند نكبات كانت للخصيبى وقال له فى آخر كلامه : انما اعددتك بجميع هذا للدنيا لا للآخرة وأنت معذور فى أمر المال لانك تزعم انه بأمر الخليفة وطاعتهُ واجبة وفى ضربك أبا يوسف لانه تمادن عليك لِمَ ذكرتَ أمّ أبى يوسف وهى أمّى ولِمَ استحسنتَ قذفها اما استحققتُ عليك بجميع[٤٣١] حقوق هذه ان تصونها عن الذكر بالقبيح لاجلى ؟ فخجل الخصيبى وقال : صدقتَ كان يجب ان أفعلَ ذلك ولكن لم أضبط نفسى عند الغيظ وأنا معتذر اليك ودع

ما مضى الخليفة مقيمٌ على انه لابدّ من الف الف دينار وقد وصفتك لأمير المؤمنين وقلتُ « أبو يوسف حرجُ الصدر وأبو عبد الله أخوه رَحْب الصدر ولايخالف أمير المؤمنين » ولولا ذلك لنقل أبا يوسف اليه ولما امنتُ عليه فأحبُّ ان تكفيني امرك فحسبي حيائي مما مضى واكتبْ خطك بزيادة الفي الف درهم . فقال أبو عبد الله : لقد أغنيتني أيها الوزير وما قصّرتَ وأحسنتَ العذر والتلافى . فقال له : بحياتى لما كتبت . فقال : أكتبْ وأنا آمن أيّها الوزير مما أقول والله ما املك ولا اخوانى هذا المال فان عطف الله بقلب الخليفة وقلبك علينا تصرّفنا وادّينا وان حرمنا ذلك استدفعنا القتل الى مدّة فان الله قد أجرى عادتنا بالكفاية ونحن نرجو تفضلهُ . فقال الخصيبي ولم يكن فى المجلس الاّ أبو زكريا وابن قديدة مستخرجُ الخصيبي : يا أبا عبد الله قد قسمت ووفيت الرأى . . . .[1]

وضحك وأخذ خطهُ بألفي الف درهم زيادة وانصرف . (٤٣٢)

وكان أبو عبد الله البريدى قد تحقق بأبي بكر محمد بن رائق وتناهى أبو بكر فى إكرامه وواقفه أبو بكر على ان يتنجز تسبيباته وتسبيبات رجاله على الاهواز ويخرج اليها ويتغلب عليها . وشخص هو عن البصرة لئلا يتمّ هذا الرأى بمقامه عنده فينسب اليه فلما وافى واسطا وجد بها أبا الحسن على ابن عيسى وقد عمّر واسطا فعقدها عليه القاهرُ (لانه كان من قبله لامن قبل الوزير) بثلاثة عشر الف الف درهم . واشهد على أبي عبد الله البريدي بالضمان واستخلف أبو عبد الله أبا الحسن محمد بن حمد بن حمدون الواسطى وأقام مدّة خمسين يوماً بالنعمانية ينظر فى أعمال الموفقى ثم مضى الى بغداد

(١) بياض في الاصل

وركب يوماً هو وأخوه الى سوق الثلاثاء ينتظرون خروج الخصيبي فراسله عيسى المتطبب بأن القاهر قد عزم على القبض عليهم فانحطوا عن دوابهم وغيروا زيهم واستتروا فما ظهروا حتى خلع القاهر من الخلافة وتقلدها الراضي بالله

وفي يوم الاثنين لاربع خلون من ذى الحجة من هذه السنة ورد كتاب علي بن خلف بن طناب الى الخصيبي يذكر فيه مصير رجل من وجوه قواد الديلم الذين كانوا مع مرداويج الى نواحي ارّجان يقال له علي بن بُوَيه (٤٣٣) وان هذا الرجل كان ضامناً لنواحي ماه انبصرة فانكسر عليه مالٌ لمرداويج فقرع منه وعصى عليه وصار في أربعمائة من الديلم الى ارّجان وتغلب عليها .

﴿ ذكر السبب في ظهور علي بن بويه والاتفاقات التي اتفقت له حتى ملك ما ملك ﴾

كان أبو الحسن علي بن بويه وأخوه أبو علي الحسن بن بويه من قواد ما كان بن كاكي ولم يزل الحال بين ما كان وبين مرداويج جميلا منذ اتفقا على قصد اسفار بن شيرويه وانصرافه عن قلعة سميران بالطرم . وكانا يتهاديان ويتلاطفان الى ان قتل مرداويج أسفار كما كتبنا أخبارهما فيما تقدم وملك نواحي الري والجبل واستعلى أمره وقوى بالمال والرجال . وقصد ما كان نواحي آمل وطبرستان فملكها وامتدّ الى نيسابور عند انصراف نصر بن أحمد صاحب خراسان عنها واشتغاله باخويه الخارجين عليه فلما فرغ من استصلاح خراسان عاد الى نيسابور وراسل ما كان يسأله ان يعود الى مكانه وان يفرج عن نيسابور ويلطف له ويستبقي الحال بينهما ففعل ما كان ذلك وعاد الى جرجان وطبرستان

وابتدأت الحال[1] تنقدح بينه وبين مرداويج على طريق التحاسد والتباغي فاستدعى[٤٣٤] مرداويج خلفاءه بالجبل وأصبهان وسائر نواحيه وجميع جيوشه وسار الى ما كان فثبت له ما كان واستظهر عليه مرداويج وهزمه وملك طبرستان ورتب فيها بلقسم بن باالحسن[2] وكان اسفهسلاره ومدبر جيشه وكان رجلا نجدا جيد الرأى فى الحرب . ثم مضى الى جرجان وكان فيها من قبل ما كان شيرزيل بن سلار وباعلى بن تركى فهربا جميعا وملكها مرداويج ورتب فيها سرخاب بن بلوس على خلافة بلقسم بن باالحسن لان سرخاب خال ولد بلقسم فجمع لبلقسم جرجان وطبرستان وعاد الى أصبهان ظافراً غانماً . ثم قصد ما كان أبا الفضل الثائر[3] مستنجداً له فاكرمه وعظمه ثم سار معه بنفسه الى طبرستان وبها بلقسم بن باالحسن وكان مستعداً لهما فبرز اليهما وتحاربوا فانهزم الثائر وما كان جميعاً . فأما الثائر فعاد الى بلده بالديلم وأما ما كان فامتد على طريق الساحل مفلولاً ضعيفاً حتى ورد جرجان ثم منها الى نيسابور قاصداً بها أبا على أحمد بن محمد بن محتاج صاحب جيش خراسان فدخل فى طاعته واستنجده . وأقام بلقسم بن باالحسن بجرجان الى ان بلغه مسير أبى على أحمد بن محمد بن محتاج اليه مع ما كان فكتب الى مرداويج يستمده[٤٣٥] فامده بأكثر عسكره ووجوه أصحابه وبالغ فى تقويته

(١) لعله النار (٢) كذا بالاصل وفي كتاب العيون : أبو القاسم بن أبي الحسن

(٣) هو أبو الفضل جعفر بن محمد الثائر بن أبى عبد الله الحسين الشاعر المحدث بن أبى الحسن على العسكرى بن الحسن بن على الاصغر بن عمر الاشرف العلوى الحسينى والحسين المحدث هو أخ لابي محمد الحسن الناصر الكبير الاطروش امام الزيدية وملك الديلم المتوفي سنة ٣٠٤ وكان وفاة جعفر بن محمد الثائر في سنة ٣٤٥ كذا فى كتاب عمدة الطالب لاحمد بن على بن عنبة : لكنوْ ص ٣٠١

ووافى ابن محتاج وما كان فبرز اليهما وواقعهما فظهر عليهما وهزمهما فانصرفا الى نيسابور . ثم كرّ ما كان كرة أخرى على نواحي الدامغان طامعاً فى ان يستولى عليها وكان فيها من قبل مرداويج الجيش بن اوميذوار فسار اليه بلقسم بن باكالجن حتى اجتمعا على دفع ما كان فانهزم ثانياً ويئس من هذه الأعمال فانفذه صاحب خراسان الى كرمان وقلّده اياها وكان بها أبو على محمد بن الياس بن الليسع وواقعهُ وهزم أبا على وملك كرمان على طاعة صاحب خراسان .

فأما أبو الحسن على بن بويه وأخوه أبو على الحسن فانهما عند هزيمة ما كان الاولى وضعفه انحازا الى مرداويج بعد ان استأذناه وقالا : ان الاصلح لك مفارقتنا اياك لتخفّ عنك مؤونتنا ويقع كلنا على غيرك فاذا تمكنت عاودناك . فأذن لهما واقتدى بعلى بن بويه جماعة من القوّاد لما صار على بن بويه وأخوه أبو على الى مرداويج فقبلهما وأكرمهما وخلع عليهما وقلّد كل واحد من قوّاد ما كان ناحية من نواحي الجبل أما على بن بويه فانه قلّده الكرج وأما الاشكرى بن مردى فانه ردّهُ الى عمله وكان متقلّدا دينارند وأما (٤٣٦) سليمان بن سركلة فانه قلّدهُ همذان وكذلك سائر القوّاد

﴿ ذكر سبب تمّ به لعلي بن بويه ولايتهُ وصُرف الباقون ﴾

﴿ بأجمعهم قبل وُصولهم الى أعمالهم ﴾

كان السبب فى ارتفاع على بن بويه وبلوغه مابلغ سماحة كثيرة كانت فى طبعه وسعة صدره . واقترن بهذا الخلق الشريف خلق آخر اشرف منه وهى شجاعة تامّة كانت له واتصل بجميع ذلك اتفاقات محمودة ومولد سعيد . فمن ذلك انه لما قلّد الكرج وقلّد الجماعة المستأمنة معه النواحي التى ذكرناها

وكتبت لهم العهود ووردوا الريّ وبها وشمكير وأبو عبد الله الحسين بن محمد الملقب بالعميد (وهو والد أبي الفضل ابن العميد وزير ركن الدولة) وكان ناظراً في الامور بالريّ فعُرضت عليه بغلة حسنة كانت لعلي بن بويه أراد بيعها والاستعانة بثمنها وكان ثمنها ثلاثة آلاف درهم قيمتها مائتي دينار فاشتراها وحمل المال اليه فظهر لعلي بن بويه انها تشترى لابي عبد الله العميد فقادها اليه وحلف الاّ يأخذ ثمنها ثم تابع ذلك بملاطفات كثيرة الى ان غمرهُ بالبرّ. ثم أوجب الرأي عند مرداويج ان يتعقب ما أمر به من تولية (٤٣٧) أولئك القوّاد وكتب الى أخيه وشمكير والى أبي عبد الله العميد بمنعهم من الخروج من الريّ وان كان بعضهم خرج مُنع من بقي. وكانت الكتب تصدر أولا الى العميد فيقف عليها ثم تعرض على وشمكير جملها فحين وقف على الكتاب تقدّم الى علي بن بويه سرّاً أن يبادر الى عمله فسار من وقته وساعته وطوى المنازل وأصبح العميد من الغد فأظهر الكتب فلما عرضها على وشمكير كان قد صار علي بن بويه على مسافة بعيدة فمُنع من لم يكن خرج من أولئك القوّاد. وفاز علي بن بويه بالولاية التي كانت سبب ملكه وتمكنه وليس يُعرف لجميع ذلك بعد قضاء الله عزّ وجلّ سببٌ الاّ سخاءهُ وسعة صدره.

فلما وصل الى الكرج ابتدأ بالاحسان الى الرجال وملاطفة عامل البلد فكان العامل يكتب بشكره وضبطه الناحية وحمايته. واتفق ان افتتح قلاعاً كانت في أيدي الخُرّميّة في تلك الاطراف ووقع بين أربابها خلافٌ فانحاز بعضهم اليه واظهرهُ على ذخائر جليلة صرفها كلها الى استمالة الرجال واستعطاف القلوب. فلما عاد مرداويج الى الريّ سبّبَ أموال جماعة من

قوّاده [٤٣٨] على ناحية الكرج وفيهم ابراهيم بن سيارَهى [١] المعروف بكاسك وجماعة أكبرمنهم فاستمالهم على بن بويه وأفضل عليهم حتى أوجبت الجماعةُ طاعتهُ . فاتصل ذلك بمرداويج فأوحشهُ ذلك وندم على إخراج أولئك القوّاد الاكابر اليه وكاتبهُ بالمصير اليه وكاتب القوّاد بمثل ذلك . فدافعهُ وتعلل عليه ورفق به الى ان أخذ العهود والمواثيق عليهم وعلم استيحاش الجماعة وخوّفهم من غدر مرداويج وسطوته فحينئذ خرج بهم عن الكرج وجمع أكثر ما قدرعليه من المال . واستأمن اليه من جربادقان شيرزاد أحد قوّاد الديلم فى أربعين رجلا فقويت نفسه وعرَضَ رجالهُ فكانوا ثلاثمائة رجل وكسرا لكنهم أعيان ونخب مستظهرين بالآلات والعدَد وتوجّه الى أصبهان وبها أبو الفتح ابن ياقوت فى نحو عشرة آلاف وأبو علي ابن رُستم يلى الخراج فقدّم اليهما كتباً جميلةً وعرّفهما انه ينحاز اليهما داخلا فى طاعة السلطان فدافعاهُ عن ذلك . وكان أبو على بن رستم أشدّ الناس كرهاً له وانكاراً لقدومه واتفق موت أبى علي ابن رستم وبرز أبو الفتح ابن ياقوت [٤٣٩] حتى صار من أصبهان علي ثلاثة فراسخ . وكان فى أصحاب ابن ياقوت ديلمٌ وجيل كثير بمقدارهم ستمائة رجل وكانوا يسمعون فضلَ على بن بويه وعطاءهُ وهمة صدره فاستأمنوا اليه وواقعهُ الوقعة وانهزم ابن ياقوت لما ضعف باستئمان هؤلاء ولما ظهر له من ثبات الديلم واضطراب أصحابه ومضى نحو فارس . وملك على بن بويه أصبهان فقوى شأنه وكبر في عيون الناس لانه هزم بمائتين من أصحابه ألوفاً والوفاً من أصحاب السلطان وبلغ ذلك مرداويج فأقلقهُ ودبّر فى أمرهم تدبيراً لم يتم له

(١) وفي كتاب العيون : ابن بشار المعروف بكاسك

﴿ ذكر حيلة مرداويج التي لم تتم له ﴾

أشفق مرداويج أن يستأمن أصحابه الى على بن بويه لما يسمعون من اقباله ولما انتشر من صيته وفيض عطائه ولان سيرة مرداويج كانت سيرة صعبة لا يسكن اليها أحدٌ ولا يصبر عليها من له نفس أبية فرأى أن يراسل على بن بويه بعتاب وتأنيس ويرفق به ويستدعى جوابهُ وضمن ضمانات له يرغب فى مثلها ووجه فى أثره أخاه وشمكير فى عسكر عظيم كثيف قوى فعلم على بن بويه ان الرسالة لا تشبه التأهب له (٤٤٠) فنذر به فرحل عن اصبهان بعد ان جباها شهرا وتوجه الى أرجان وبها أبو بكر ابن ياقوت فانهزم بين يديه الى وامهرمز من غير حرب ودخلها على بن بويه واستخرج منها أموالا قوى بها .

ووردت عليه كتب أبى طالب زيد بن على النوبندجانى يستدعيه ويشير عليه بالمسير الى شيراز ويهوّن عنده أمرَ ياقوت وأصحابه لنهوره فى جباية الاموال وكثرة مؤنته ومؤنة جنده وثقل وطأتهم على الناس مع فشلهم وخورهم . فاشفق على بن بويه ان يلقى ياقوتاً مع صيته وكثرة رجاله وأمواله وحصول ابنه أبى بكر بن ياقوت من ورائه فابى على أبى طالب وتمنع عليه ولم يقبل مشورته . فشجّعه أبو طالب وأعلمه انه ان توقف لم يأمن أن يتفق بين ياقوت ومرداويج أمرٌ يجتمعان له عليه وان أعداءه كثير ومتى اجتمعوا عليه لم يقم لهم وتمكنوا بطول الزمان من التدبير عليه وربما لحق مدد السلطان فتجتمع الجيوش من كل وجه والصواب لمن كان فى مثل صورته ان يبادر ويعاجل من بين يديه ولا ينتظر بهم الاحتشاد وانشاء التدابير عليه ولم يزل يراسل على بن بويه ويهوّن عليه الخطب ان بادر ويعظّمه

ان توانى[٤٤١] وتأخر الى ان سار نحو النوبندجان. وسبقه مقدّمة ياقوت وهي فى نحو الفي رجل وفيهم وجوه أصحابه وشجعانهم مثل المعروف بكورمرد الخراسانى وابن خركوش وكانا شديدين مذكورين بالباس ومعهما أشباههما من أهل النجدة فوافاهم على بن بويه الى النوبندجان فلم يثبتوا وانهزموا الى كركان وجاءهم ياقوت وأصحابه الى هذا الموضع. فنصب أبو طالب النوبندجانى وكلاءه وثقاته لخدمة على بن بويه وتنحى بنفسه الى ضيعة له مغالطةً لياقوت وراسل ياقوتاً ان الخوف الذى شمله والناس ألجاه الى الهرب وانتباعد واستشاره فيما يعمل وهو مع ذلك مجتهد فى نصيحة على بن بويه وارشاده الى صواب الرأى واهداء الاخبار اليه ودلالته على المسالك والطرق. وأقام لمؤنته وانزاله من يزيح علته فى الجميع حتى أضافه وجميع عسكره أربعين يوما ولزمته مؤونة عظيمة يذكر ان مبلغها مائتا الف دينار. وأنفذ على بن بويه أخاه أبا على الى كازرون وغيرها من أعمال فارس فاستخرج منها أموالا عظيمة وأثار ذخائر جليلة كانت للأكاسرة يتوارثها قوم هناك فزاد[٤٤٢] استخراجه على استخراج أخيه. وأنفذ ياقوت عسكرا ضخما الى الحسن بن بويه فواقعهم بالنفر اليسير الذين معه فهزمهم وصار موفوراً الى أخيه على بن بويه. ثم اتفق أن تمم عليه مواطأة ياقوت ووشمكير ومرداويج وبلغه من ذلك ما أوجب ان يسير الى كرمان فتوجه من النوبندجان الى اصطخر ومنها الى البيضاء وياقوت يتبعه بجميع عسكره ويقفو أثره وانتهى بعلى بن بويه المسير الى قنطرة كان الطريق عليها الى كرمان فسبقه ياقوت الى القنطرة وحال بينه وبين عبورها واضطره الى الحرب

﴿ دخلت سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة ﴾

وابتدأت الحرب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة سنة ٢٢ وأصبحوا يوم الاربعاء على أشد ما تكون الحرب . فاستدعى على ابن بويه أصحابه ليلة الخميس وأعلمهم انه يترجل معهم ويقاتل كأحدهم ووعدهم ومناهم واستوثق منهم الايمان فى الثبات والجهاد والجد

﴿ ذكر اتفاق جيد اتفق لعلى بن بويه وردى جداً ﴾

﴿ على ياقوت مع تدبير سيئ وتسرع ﴾

﴿ من ياقوت غير صواب ﴾

أما التدبير السيء الذى استعمله ياقوت وتسرع فيه فانه استأمن اليه من أصحاب على بن بويه (٤٤٣) رجلان من وجوه الديلم فحين وقفت عينه عليهما أمر بضرب أعناقهم وتيقن الديلم انه لا أمان لهم عنده فشحذ ذلك بصائرهم وجاهدوه جهاد المستقتلين . وأما الاتفاق الذى اتفق عليه فانه باكر الحرب يوم الخميس وقدم على مصافه رجالة كثيرة من أصحابه يحاربون بمزاريق النفط والنيران فانقلبت الريح واشتدت للوقت فاحترق شيء من مصاف ياقوت وأكب الديلم على أولئك الرجالة فقتلوهم وانهزم الفرسان وزحف الديلم على تعبيتهم .

﴿ ذكر تدبير دبره ياقوت فى حال الهزيمة فلم ينفذ له ﴾

﴿ واحترز منها علي بن بويه فظفر ﴾

لما أشرف الديلم على سواد ياقوت عند هزيمته وهزيمة أصحابه طلب نشزاً من الارض عالياً فى طريقه فصعد اليها وركز عليها رأيته فاجتمع اليه نحو من أربعة آلاف رجل . وظن أن الديلم يتسرعون الى خزائنه ويشتغلون

بالنهب فيضطرب نظامهم ويكرّ عليهم (وهذه لعمرى مكيدة طال ماصارت سببا لظفر قوم بعد هزيمتهم) فقال لاصحابه : لا تفرقوا وتأهبوا للكرّة فانها الظفر لا محالة . وأحسّ علي بن بويه بذلك فبرز أمام مصافه ونادى أصحابه وقال لهم : لا تبعدوا ولا تنقضوا تعبيتكم فان الخصم [٤٤٤] واقف ينتظر اشتغالكم بالنهب ثم يعطف عليكم ولم يبق له غيرهذه المكيدة. وأعلمهم أن الغنيمة لا تفوت فلما رأى ياقوت ثباتهم وامتناعهم من النهب واحترازهم من مكيدته مضى على وجهه منهزما وملك على بن بويه جميع ذلك السواد . ووجد لياقوت صناديق فيها برانس وقيود وما أشبه ذلك كان أعدها للاسارى فاشار جماعة من قوّاد على بن بويه بان يجعل ذلك لاسارى رجال ياقوت وأن يجعل البرانس على رؤسهم والقيود فى أرجلهم ويشهر بهم فى المعسكر ثم فى البلد فابى ذلك على بن بويه وقال : بل نعدل عن هذا الى العفو عمن أظفرنا الله بهم من أعدائنا ونشكر الله على هذه النعمة فانه ادعى للمزيد وأبعد من البغى والطغيان .

ثم امتد الى الزرقان يوم الجمعة والى الدينكان يوم السبت وتوثّقت المستأمنة والشحنة وأكابر الناس اليه وتتابعوا فتقبل الجميع وأحسن اليهم قولا وفعلا وصفح عن كل من بلغه عنه فحشٌ فى الخطاب أو اساءة فى عمل وأحسن فى سيرته حتى اطمأن اليه الناس وأمنهُ أعداؤه . وعسكر بظاهر شيراز ونادي فيها ببثّ العدل [٤٤٥] وأمان للناس من جميع ما يكرهون وأمر العامة بالانتشار فى معائشهم والخروج الى مصالحهم آمنين ففعل الناس ذلك

ثم اضطرّ بعد ذلك الى سيرة أخرى لكثرة مطالبات الجند واقتراحاتهم

وبلغ من أمره ما سنكتبه فى موضعه بمشيئة الله وعونه

وفيها ورد كتاب أبى جعفر محمد بن القاسم الكرخى وكان يتقلد أعمال الخراج والضياع بالبصرة والاهواز بتاريخ يوم الثلاثاء لاربع خلون من المحرم بان الكتب وردت عليه بدخول أصحاب مرداويج اصبهان وانه خرج من جملة مرداويج قائد جليل كان يتقلد ماه البصرة وفارس عمال جليل وهرب الى أرجان يقال له على بن بويه وانه كتب اليه انه فى طاعة السلطان وهو يستأذن الوزير فى ورود الحضرة أو النفوذ الى شيراز لينضم الى ياقوت مولى أمير المؤمنين

وفى هذه السنة صار أصحاب أبي طاهر القرمطى الى نواحى توّج وسينيز فى مراكب وخرجوا منها الى البلد فلما بعدوا من المراكب أحرقها صاحب لياقوت كان يتقلد البلد ثم اجتمع مع أهل البلد واوقع بالقرامطة وقتل منهم وأسر ثمانين رجلا فيهم رجل يعرف بابن النمر . (٤٤٦) فقدم رسول محمد بن ياقوت بهؤلاء الاسارى فادخلهم مشهرين فوضع على رأس ابن النمر منهم قرونا وكانوا على جمال بدراريع ديباج وبرانس حتى دخلوا دار السلطان فاعتقلوا بها

وفيها قتل القاهر اسحاق بن اسماعيل وأبا السرايا نصر ابن حمدان

(ذكر السبب فى ذلك)

كان السبب فى قتله اسحاق انه كان أراد شراء الجارية المعروفة برتبة قبل الخلافة وكانت موصوفة بالجمال والغناء فزايده اسحق بن اسماعيل فيها واشتراها . وسبب قتله أبا السرايا انه كان أراد شراء جارية أخرى قبل الخلافة فاشتراها أبو السرايا . فحكى ثابت عن خادم حضر قتلهما قال : جاء

القاهر فوقف على رأس بئر كانت فى موضع ذكره ثم استحضر اسحاق فأحضر وهو مقيّد فأمر بطرحه فى تلك البئر فرمينا به فيها بقيده وهو حي. ثم أمر باحضار أبي السرايا فأحضرناه وهو مقيّد فأمر بطرحه فى تلك البئر فمازال أبو السرايا يتضرع اليه ويسئله العفو وهو لا يلتفت اليه وتعلق بسعف نخلة كانت بقرب البئر فأمرنا بضرب يده فضربناها فخلى عن السعفة ودفعناه (٤٤٧) فى البئر ثم أمر بطم البئر فطرحنا عليهما التراب حتى امتلأت وهو واقف . فسبحان الله العظيم ما أعجب أمر المقادير ! أراد مونس لما قتل المقتدر أن ينصب فى الخلافة أبا العباس بن المقتدر فما زال اسحاق بن اسماعيل مجتهدا قائما قاعداً الى أن عدل بها الى القاهر بالله وهو لا يعلم انه انما يسعى فى حتف نفسه ليتم الامر المقدور

وفيها حضر دار سلامة الحاجب أبو بكر بن مقسم وقيل انه ابتدع قراءة لم تعرف للقرآن . وأحضر ابن مجاهد (١) والقضاة وناظروه فاعترف بالخطأ وتاب فأحرقت كتبه .

وفيها خرج رجل من الصغد يعرف بابي على محمد بن الياس واجتاز بكرمان حتى بلغ باب اصطخر وأظهر لياقوت انه يريد أن يستأمن اليه ثم عرف ياقوت ان ذلك حيلة منه فخرج اليه ياقوت فلم يثبت له ابن الياس وانكفأ راجعا الى كرمان وصار اليه من قبل صاحب خراسان ما كان بن كاكى الديلمى فواقعه وانهزم ابن الياس وصار الى أعمال فارس فواقعه

(١) هو أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس البغدادى شيخ العراق في عصره توفى سنة ٣٢٤ كذا في تاريخ الاسلام . وأما ابن مقسم فهو محمد بن الحسن بن يعقوب توفي سنة ٣٥٤ وترجمته موجودة في ارشاد الاريب ٦ : ٤٩٨

ياقوت وانهزم ابن الياس .

وفيها استوحش الحجرية والساجية من القاهر فدبروا عليه وتم لهم القبض عليه (٤٤٨)

﴿ ذكر السبب فى القبض على القاهر ﴾ .

كان السبب فى ذلك ان أبا على ابن مقلة كان راسل الساجية والحجرية فى استتاره ويضرّبهم على القاهر ويوحشهم منه والحسن بن هرون يفعل مثل ذلك ويلقاهم بالليل وهو يتزيا بزىّ السؤال وفى يده زبيل وفى وقت بزىّ النساء الى ان شحذ نياتهم وجمع كلمتهم على قصد القاهر والفتك به وحذّرهم منه وعرّفهم انه قد بنى لهم المطامير واحتال من جهة منجم كان لسيما (١) حتى لقّنه ان يقول لسيما من جهة النجوم انه يخاف عليه من القاهر ويحذّرهُ منه . وأعطى الحسن بن هرون هذا المنجم مائتى دينار فملأ عينه حتى مكّن فى نفس سيما الخوف من القاهر وكان سيما يقبل منه ويستحسن إصابته ثم دسّ اليه من جهة منامات يدعيها أشياء حتى اشتدّ خوف سيما من القاهر . فلما كان يوم الاثنين لاربع خلون من شهر ربيع الاخر وقع بين الغلمان الحجرية وبين الغلمان الساجية خلاف وذكر الساجية أن القاهر يريد أن يفتك بسيما وهو رئيس الساجية وخرج سيما من دار السلطان مبادراً الى داره واجتمع اليه الساجية بأسرهم والقوّاد فى السلاح (٤٤٩) وأقاموا عنده الى آخر النهار ثم انصرفوا وباكروه فاجتمع قوّاد الساجية مع قوّاد الحجرية وتحالفوا ان تكون كلمتهم واحدة ثم استحلفوا باقى الحجرية والساجية . واتصل ذلك بالقاهر وبالوزير وبالحاجب فوجهوا من يسألهم

(١) وفى الاوراق للصولى : هو سيما المناخلى ولم يعش بعد هذا الا أقل من مائة يوم

عما أوحشهم فقالوا : قد صحّ عندنا ان القاهر عزم على القبض على سيما وعلى حبسنا فى مطامير قد بناها لنا . وكان الفضل بن جعفر يتولى بناء مطامير من مالهِ ويحتسبها من مال مصادرة عليه فعرّف القاهر ما يقولونه فتقدّم الى سلامة بالخروج اليهم . وحلف القاهر له على انه لم يفعل ذلك ولا همّ به وانما بنى حمامات رومية للحرم وخرج سلامة لذلك .

وخلا الخصيبي وعيسى المتطبب بالقاهر فذكرا له ان الآفة فى هذا كله الفضل بن جعفر وانه هو الذى قال للساجية والحجرية ذلك لانه شيء لم يعرفه غيره . وكان سلامة أشار بالفضل حتى أعفى من المصادرة عناية به واقتصر منه على ما ينفقه على المطامير فتقدّم القاهر بالقبض على الفضل بن جعفر وطالبه الوزير الخصيبي بحضرة عيسى بثلاثمائة ألف دينار فقال الفضل : لو كنتُ ذا مالٍ لكانت لى ضياع ودُور (٤٥٠) وخدم ومروءة بحسبها . فاغتاظ الخصيبي وظن انه قد عرّض به وخاطبه بمخاطبة فيها جفاء فاستوفى الفضل عليه الجواب . فهمّ الوزير الخصيبي ان يوقع به فقال سابور الخادم : أمرتُ بصيانتهِ والا يلحقهُ مكروهٌ . وردّهُ الى دار السلطان وحبس في الموضع الذى كان اسحق بن اسمعيل محبوساً فيه

وورد يوم الثلاثاء لخمس بقين من جمادى الاخرى كتاب أبي جعفر الكرخي وكتاب أبي يوسف عبد الرحمن بن محمد الذى كان يكتب للسيدة بأن أصحاب ابن رائق كبسوا سوق الاهواز وانهم استولوا على سائر عمل الاهواز وصار كلّ من يتقلد المعاون في أعمال الاهواز من قبله سوى محمد بن ياقوت فانه كان يتقلد المعاون بالسوس وجنديسابور فلم ينفذ لابن رائق لانه نظيرهُ فكتب الخصيبي رُقعة بما ورد عليه من ذلك الى القاهر .

وكان القاهر قد ابتدأ بشرب فدعا بسلامة واقرأهُ الكتاب وقال له : امضِ الى الخصيبي واجتمع معه على التدبير فى ذلك . وعاود شربهُ فمضى سلامة وعيسى معه الى الخصيبي وأطالا عنده الى نصف الليل ولم يتقرر لهم رأى على شيء فانصرف (٤٥١) سلامة الى منزله لعلمه بأن القاهر قد سكر ولا فضل فيه باقي ليلته . وصدر نهار الغد وبكّر سلامة الى الخصيبي فوجد عنده عيسى المتطبب وبلغهم خبر الساجية والحجرية واجتماعهم لقصد دار السلطان فتقدّم الخصيبي الى عيسى بأن يبادر الى دار السلطان ويعرّف القاهر الخبرَ ليتحرّز وان وجده نائما أنبهه فمضى عيسى واجتهد فى أنباه القاهر فلم تكن فيه حيلة وقيل له كان يشرب الى ان طلعت الشمس وانه لو أنبه لما فهم عنه ما يقوله لشدة سكره .

وكانت الحجرية والساجية قد اجتمعوا عند سيما وتحالفوا على اجتماع الكلمة فى كبس دار الخليفة والقبض على القاهر فقال لهم سيما : ان كان قد صح عزمكم على هذا فقوموا بنا الساعة حتى نمضيه . فقالوا : بل نؤخره الى غد فهو يوم الموكب ويظهر لنا فنقبض عليه . فقال لهم سيما : ان تفرقتم الساعة وأخرتموه الى ساعة أخرى اتصل الخبر به فتحرز ودبر علينا فأهلكنا كلنا . فقبلوا رأيه وركبوا معه الى دار السلطان بالسلاح فرتب سيما على كل باب من أبوابها غلاما من الساجية وغلاما من الحجرية ومعهما قطعة وافرة (٤٥٢) منهما فلما أحكم أمر الابواب كلها وقف على باب العامة وأمر بالهجوم فهجموا كلهم من جميع الابواب فى وقت واحد . وبلغ سلامة والخصيبي الخبر وهما مجتمعان فى دار الخصيبي فخرج الخصيبي في زي امرأة واستتر وانحدر سلامة الى مشرعة الساج واستتر

ولما دخل الساجية والحجرية الدار لم يدخلها سيما وأقام بمكانه من باب العامة الى أن قبض على القاهر فلما قبض عليه دخل .

ولما علم القاهر بحصول الغلمان في الدار انتبه من سكره وأفاق وهرب الى سطح حمام في دُور الحرم فاستتر فيه ولما دخل الغلمان الى المجلس الذى كان فيه لم يجدوه وأخذوا من كان بالقرب مثل زيرك الخادم وعيسى المتطبب واختيار القهرمانة فوكلوا بهم. ووقع فى أيديهم خادم صغير فضربوه بالطبرزينات حتى دلهم على موضعه فدخلوا فوجدوه على سطح الحمام على رأسه منديل دبيقى وفى يده سيف مجرد واجتهدوا به على سبيل الرفق أن ينزل اليهم وقالوا: نحن عبيدك وما نريد بك سوءا وانما نتوثق لانفسنا فأقام على الامتناع من النزول الي ان فوّق اليه واحد منهم بسهم [٤٥٣] وقال: ان لم تنزل وضعته فى نحرك . فنزل حينئذ وقبضوا عليه وكان ذلك ضحوة نهار يوم الاربعاء لست خلون من جمادى الاخرة سنة ٣٢٢ وصاروا به الى موضع الحبوس وقصدوا البيت الذي فيه طريف السبكرى ففتحوه ووجدوا فيه طريفاً فكسروا قيده وأطلقوه وأدخلوا القاهر الي موضعه وحبسوه فيه ووكلوا بالباب جماعة من الساجية والحجرية ووقع النهب ببغداد وانقضت خلافة القاهر بالله

خلافة الراضى بالله أبي العباس

﴿ محمد بن المقتدر فى سنة ٣٢٢ ﴾

واستدلّ الغلمان الساجيّة والحجريّة حين قبضوا على القاهر على الموضع الذى